حسن فؤاد



سلسلة ثقافية شهرية
تصدر عن دار المعارف

صور من قريب

فاضل

اقرأ

سلسلة ثقافية شهرية
تصدر عن دار المعارف

[٦٠٧]

رئيس التحرير: رجب البنا

الغلاف : للفنان ناجى

حسن فؤاد

صور من قريب



دار المعارف

إن الذين عنوا بإنشـاء هـذه السلسلة ونشرها ، لم يفكروا إلا فى شىء واحد ، هو نشر الثقافة من حيث هى ثقافة ، لا يريدون إلا أن يقرأ أبناء الشعوب العربية . وأن ينتفعوا ، وأن تدعوهم هذه القـراءة إلى الاستزادة من الثقـافة ، والطموح إلى حياة عقلية أرقى وأخصب من الحياة العقليـة التى نحيـاهـا .

طه حسين

الناشر : دار المعارف – ١١١٩ كورنيش النيل – القاهرة ج . م . ع .

مقدمة

بقلم : أنيس منصور

يقال إن دارون هو صاحب نظرية أن الإنسان أصله قرد ، ولكن الساسة قادرون على أن يجعلوا الإنسان أصله قرد مرة ، والقرد أصله إنسان مرة أخرى ! ..

* * *

شاعرنا كامل الشناوى ، وصف الموسيقار محمد عبد الوهاب بأنه لا يكذب ولا يقول الحق – يقصد أنه موسيقار السياسة ، وسياسى الموسيقى ! .

* * *

الرقصة الأبدية هى (رقصة السياسة) ، وهى خطوتان إلى الأمام ، وواحدة إلى الخلف ، ثم واحدة إلى اليمين أو إلى الشمال حسب الأحوال ! .

* * *

أنت لا تستطيع أن تخدع كل الناس كل الوقت ، ولكن الرجل السياسى يستطيع ذلك كل أربع سنوات على الأقل !

* * *

السياسى هو الرجل الذى إذا قابلك يبادرك بقوله : أنا سعيد لرؤيتك مرة أخرى ، مع أنه لم يرك قبل ذلك ! .

* * *

السياسى هو الرجل الذى يستطيع أن يتنبأ بما سوف يحدث غدًا وبعد غد والعام القادم ، ثم يعتذر لك عن أن شيئًا من ذلك لم يقع ! .

* * *

السياسيون فى كل الدنيا طراز واحد : إنهم يعدون ببناء الجسور حيث لا توجد أنهار ! .

* * *

إذا أطلقنا أيدى السياسيين وضعوها فى جيوبنا ! .

* * *

هناك جانبان لكل مشكلة : والرجل السياسى يأخذ بالجانبين معًا ! .

* * *

اختلاف الرأى لا يخيف ، اختفاء الرأى هو الذى يخيف ! .

* * *

كل السياسيين من كل لون يتفقون على شىء واحد : فلوسنا ! .

* * *

فى بلادنا يشارك نصف الشعب فى الانتخابات : النصف الخطأ ! .

* * *

السياسيون يزعمون دائما بأنهم يحصلون على أموال الأغنياء وأصوات الفقراء لحمايتهم بعضهم من بعض ! .

* * *

السياسي عندما يرشح نفسه فأنت صديقه ، وعندما يدخل البرلمان فأنت ابن دائرته ، وعندما يصبح وزيرًا فأنت واحد من دافعى الضرائب ! .

* * *

السياسة هى فن السفالة الأنيقة ! .

* * *

من هذه الخيوط اللامعة والأشواك الحادة والهواء الملوث والماء الفاسد والجو الخانق والحديد والنار والدم استطاع الأستاذ حسن فؤاد أن يرسم ويجسم ويقدم أبطالا على مسرح السياسة الدولية ..

ولأنه تمرس على ذلك كثيرًا وطويلا وعميقًا ، فلم يجد صعوبة فى أن يجعل أعقد الرجال سهلا تكاد تلمسه وتقلبه بين يديك ..

وكما أن قطرات الماء تتلألأ عند سقوطها - فكذلك رجال السياسة فى كل عصر وفى كل بلد ..

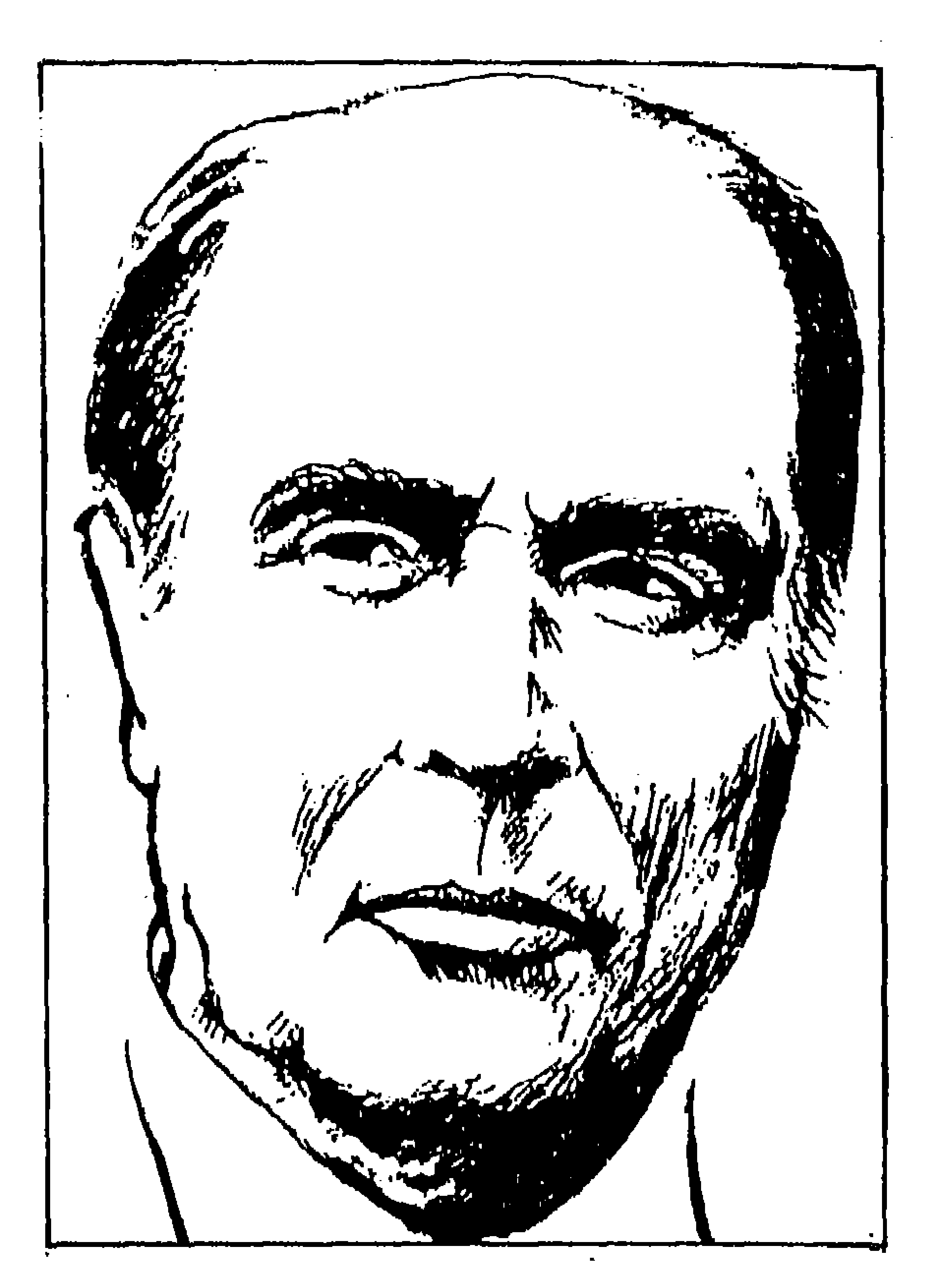
وسوف تجد الأسماء مختلفة والظروف أيضًا ، ولكن سوف ترى كيف يفلت هؤلاء الناس من الكوارث ببراعة ، يهربون منها ويتسلطون علينا ، ويتسللون بين الناس ليسبقوهم إلى المقدمة ويوهمون الجميع بأنهم الأنبياء الكاذبون ..

وكما أن الزواج شر لابد منه ، فكذلك السياسة والذين يكتبون عنها أيضًا ..

فاقرأ وتمتع واحمد ربنا أنك لم تضطر إلى أن تعايش هذه النوعية الغريبة من الناس الذين هم إفرازات الأزمات الاجتماعية والاقتصادية ! .

فرانسوا ميتران

شيخ الاشتـراكيين



سكت دهرًا .. ثم نطق كفرًا ..

هكذا يقول خصومه الآن ، والخصوم كثيرون ، ويزدادون كل يوم مع اشتداد وطأة المرض عليه ، وهو يقاوم المرض اللعين ببسالة وبابتسامة فيها سخرية ، وفيها – رغم الألم المبرح – تفاؤل .

فبعد فترة صمت طويلة أدلى بحديثين طويلين إلى اثنتين من وسائل الاعلام فى بلاده . أولاهما صحيفة « لوفيجارو » الواسعة الانتشار والثانية القناة الثانية بالتليفزيون والحديثان نشرا وأذيعا فى يومين متتاليين ، وهو فى هذين الحديثين ينحو إلى الدفاع عن نفسه ، ولا يأبه بمهاجمة خصومه الذين وجهوا إليه تهما تصل إلى حد الخيانة العظمى !

وقد جاءت هذه الاتهامات الخطيرة فى كتاب من ستمائة صفحة صدر فى سبتمبر ١٩٩٤ بعنوان :

« شباب فرنسى UnejeunesseFrancaise » وهو من تأليف صحفى يسارى ، وفيه يقول إن راعى الاشتراكية الفرنسية كان فى شبابه عنصريا معاديا للسود والملونين ، وكان يشترك فى مظاهرات ضد السماح بالتحاق أبناء المستعمرات فى الجامعات الفرنسية ، وأنه كان يرى أن هذه الجامعات يجب أن تقتصر على البيض وحدهم ، أما الأجناس الأخرى فلا حق لها فى التعليم الجامعى !

والتهمة الأهم والأخطر التى تضمنها الكتاب هى أن الرئيس الفرنسى الذى تولى زعامة الحزب الاشتراكى لعشرات السنين ، انضم إلى معسكر الأعداء أثناء الحرب العالمية الثانية ، والمقصود بالأعداء هنا هم الألمان النازيون الذى احتلوا فرنسا وساموا الشعب الفرنسى سوء العذاب ، مما دعا الفرنسيين إلى الانضواء تحت راية كتائب المقاومة السرية التى قاتلت ببسالة ضد هؤلاء الغزاة المحتلين .

وفى ذلك الوقت لجأ النازيون الألمان إلى تشكيل حكومة عميلة من بعض العناصر الفرنسية التي قبلت التعاون معهم ، وهى التى عرفت باسم حكومة فيشى وكان يرأسها مارشال فرنسى اسمه بيتان .. وما كادت الحرب تنتهى بهزيمة النازية فى المانيا وانتصار المقاومة الفرنسية التى كان يوجهها الجنرال ديجول من منفاه الاختيارى فى لندن . حتى بدأت عمليات الإمساك بعناصر الخيانة الذين تعاونوا مع حكومة فيشى وفى مقدمتهم المارشال بيتان نفسه الذى لم يشفع له أنه كان معلما لديجول فى الأكاديمية العسكرية الفرنسية ، وإنه حقق انتصارات مبهرة لفرنسا فى الحرب العالمية الأولى . فقد أصر ديجول على محاكمته ، وصدر عليه حكم بالاعدام رميا بالرصاص ، ثم خفف إلى السجن مدى الحياة نظرًا لكبر سنه .

والآن يجىء هذا الصحفى الفرنسى « اليسارى » لكى يقول فى كتابه إن الرئيس فرانسوا ميتران كان فى شبابه ضالعا مع حكومة فيشى الخائنة لوطنها ! والأمر الذى يدعم هذا الاتهام أن

ميتران كان فى الثلاثينات منضما إلى جماعة يمينية متطرفة أقرب إلى الجماعات الفاشية .

أما دفاع الرئيس الفرنسى عن نفسه فهو أنه كان له شرف الاشتراك فى بداية الحرب كجندى فى جيش فرنسا الوطنى إلى أن اجتاح الألمان خط ماجينو ، وسحقوا الدفاعات الفرنسية ، وعندئذ وقع ميتران فى أسرهم ضمن مئات الآلاف من الأسرى الفرنسيين ، ولكنه تمكن من الهرب من معسكر الأسر عام ١٩٤٢ ، وكان عمره فى ذلك الوقت ٢٦ سنة ، ولم يكن يدرى أن حكومة فيشى عميلة للاعداء ، فلم يجد بأسا من العمل فى ظلها ..

كذلك يقول ميتران أنه بالفعل بدأ نشاطه السياسى وهو فى الثامنة عشرة ، كعضو فى جماعة يمينية ، وذلك بحكم إنه ينتمى إلى أسرة ريفية كاثوليكية محافظة ، ولكنه يوضح أنه فيما بعد تحول من اليمين إلى اليسار وليس العكس ، كما أن الجنرال ديجول كان هو الذى اختاره . بعد تحرير فرنسا . للاسهام فى بناء الجمهورية الرابعة وتنبأ له بأنه سيكون له دور فى حكم البلاد .. ومنذ ذلك الوقت المبكر انضم إلى الحزب الاشتراكى حتى أصبح الآن يحمل لقب شيخ الاشتراكيين .

وطول شهر سبتمبر الماضى انشغل الرأى العام الفرنسى بالاتهام الموجه إلى رئيس الدولة ودفاعه عن نفسه ، واقتنع الكثيرون بالحجج التى أوردها ميتران فى حديثيه الصحفى والتليفزيونى فى حين أن آخرين ، وبعضهم أعضاء فى الحزب الاشتراكى . أبدوا أسفهم

لأن رئيسهم وزعيم حزبهم أخفى عنهم ماضيه ، ولم يتحدث عنه إلا بعد أن حاقت به الاتهامات .

وقد بدأ ميتران فترة رئاسته الأولى فى ربيع عام ١٩٨١ ، وانتهت فترة رئاسته الثانية فى مايو الماضى ، وهو يعانى من المرض الخبيث منذ بداية التسعينات وقد أجريت له جراحتان لمحاولة قطع دابر هذا المرض ، الأولى منذ أربع سنوات والثانية منذ سنتين ، ولكن جهود الجراحين لم تفلح ، فقد استشرى الداء ، وتضاعف الألم ، واقترب الأجل ، وتكاثر الخصوم ، وارتفعت الأصوات التى تطالب القائد بالتنحى ، فى حين أصر القائد على إتمام المسيرة حتى آخر يوم له فى الرئاسة .

وفى استفتاء عام أجرى منذ عشرين شهرا قال ٧١ فى المائة من الفرنسيين إنهم يحبذون أن يظل الرئيس ميتران فى منصبه حتى نهاية مدته الدستورية .

وهو ما حدث بالفعل ، فقد أكمل رئاسته ، ثم أكمل عامه الـ ٧٨ فى أكتوبر الماضى .

وفى الانتخابات العامة التى أجريت فى مارس من عام ١٩٩٣ سقط ثلاثة من أقطاب الحزب الاشتراكى وهم رئيس الحكومة السابق ميشيل روكار ووزير الخارجية السابق رولان دوما والأمين العام السابق للحزب ليونيل جوسبان ، وكان لسقوطهم دوى كبير ترك آثارا محبطة على الرئيس ميتران .

والدستور الذى يحكم فرنسا الآن هو الذى وضعه ديجول فى بداية الجمهورية الخامسة ، وهذا الدستور ينسب كل الأمجاد والانجازات إلى رئيس الجمهورية ، ويلقى باللوم إزاء كل خطأ أو تقصير على كاهل رئيس الوزراء .

ولعل من أبرز الانجازات التى حققها ميتران خلال فترة رئاسته الثانية هى أنه اختار امرأة لرئاسة الوزارة من مايو ١٩٩١ إلى أبريل ١٩٩٢ ، وهى السيدة إديت كريسون ، وهو اختيار بدا غريبا لأن تقاليد الفرنسيين لا تسمح للمرأة بتولى المناصب القيادية بسهولة ، حتى إنه فى ظل النظام الملكى السابق لم يكن مسموحا للإناث بالجلوس على العرش خلافا لسائر دول أوروبا .

وعندما قامت الثورة الفرنسية منذ أكثر من مائتى سنة وأسقطت الملكية ، فإنها حظرت على النساء حق دخول البرلمان ، فلم تحصل المرأة الفرنسية على حقوقها السياسية إلا بعد الحرب العالمية الثانية !

كما أنه على مدى المائتى سنة الماضية وأكثر لم تظهر امرأة فى منصب وزارى إلا مرتين أو ثلاثا إلى أن جاءت السيدة كريسون فأدخلت إلى حكومتها خمس وزيرات !!

وكان الرئيس ميتران قد تعرف على هذه السيدة فى عام ١٩٦٧ عندما كان عمرها ٣٣ سنة ، وعمره ٥١ سنة ، وقد ساعدته فى معركته للرئاسة عام ١٩٧٤ ولكنه سقط أمام جيسكار ديستان ،

وفى نفس الفترة رشحت هى نفسها فى انتخابات فرعية ولكنها سقطت أيضا .. ويقال أن هناك قصة حب بينهما ، وأن هذا الحب أثمر طفلا .. وبعض الصحف الفرنسية يحلو لها أن تصف السيدة كريسون بأنها « امرأة من الحريم » وعندما اختارها الرئيس ميتران لكى ترأس الوزارة تساءل بعض نواب اليمين فى خبث .. « هل عادت الملكية إلى فرنسا ؟ ! » وعندما اتهموها بأنها صنيعة ميتران قالت : « ربما كنت الأثيرة لديه ! » .

ولكن المؤكد أنها تؤمن بالمبادئ الاشتراكية بشكل متطرف حتى أن صحف اليمين تشير إليها بعبارة « الباريسية الحمراء » .

والكتب التى صدرت عن ميتران كثيرة ، من أغربها كتاب أصدره صحفى آخر منذ بضع سنوات بعنوان « رسالة مفتوحة من كلب إلى فرانسوا ميتران باسم حرية النباح » .. وقد بيع منه حوالى ٣٠٠ ألف نسخة ، ونفس هذا الصحفى أصدر كتابا آخر فى العام الماضى عنوانه « ميتران والأربعون حرامى » والمتوقع أن تصل مبيعاته إلى نصف مليون ..

ليدى تاتشر

حديث المدفـأة



منذ ست سنوات كان الرئيس السوفيتى السابق ميخائيل جورباتشوف فى زيارة خاصة للندن خلال فصل الربيع ، ونشرت إحدى الصحف البريطانية مجموعة من الصور التى تظهر فيها السيدة مارجريت تاتشر . رئيسة الوزراء حينئذ . هى وجورباتشوف وهما فى أوضاع غرامية مثيرة داخل حديقة عامة ، وقالت الصحيفة إن الاثنين يعيشان حالة حب ، ثم اتضح أن الصور كلها مركبة ، وأن الحكاية كلها كذبة ظهرت يوم أول أبريل من عام ١٩٨٩ .. !

وبعد عامين وقع انقلاب أغسطس الفاشل ضد جورباتشوف الذى استطاع أن ينجو من أعدائه ولكنه لم ينج من أصدقائه ، وفى نهاية العام صدرت شهادة وفاة الاتحاد السوفيتى ، ووجد جورباتشوف نفسه . وهو آخر الرؤساء السوفيت ، بلا منصب وبلا حول ولا قوة ، فما بين غمضة عين والتفاتتها لم يعد رئيس دولة ولا زعيم حزب .. وفى نفس العام أيضا سقطت السيدة تاتشر من قمة الحكم فى بريطانيا ، حيث خذلها حزبها وهى فى رحلة إلى الخارج ، فخلعها من زعامة الحزب ومن رئاسة الحكومة .

وفى أكتوبر الماضى صدر فى لندن كتاب جديد يقول إن انهيار الاتحاد السوفيتى وسقوط جورباتشوف ، وتحول العالم كله من

نظام القطبين إلى نظام القطب الواحد .. كل ذلك جاء بإيعاز من « الليدى » تاتشر خلال اجتماع انفرادى بينها وبين جورباتشوف فى حديث أمام المدفأة فى إحدى ليالى الشتاء عام ١٩٨٤ ، أى قبل نحو خمس سنوات من زيارة جورباتشوف الربيعية إلى لندن .

الكتاب يحمل عنوان « جوربى وماجى » وهما اسما التدليل لكل من جورباتشوف وتاتشر .. ومؤلف الكتاب هو الدبلوماسى الروسى العتيق ليونيد زامياتين الذى كان سفيرا للاتحاد السوفيتى لدى المملكة المتحدة خلال فترة الثمانينات ، وحضر جميع اللقاءات الثنائية الستة التى جمعت بين جوربى وماجى مابين . مدينتى لندن وموسكو . وقد اقترحت بعض الصحف على المؤلف أن يغير عنوان الكتاب إلى « قصة مدينتين » على غرار رواية شارلز ديكنز الشهيرة واقترحت صحف أخرى أن يكون العنوان هو السيدة الحديدية تنصهر وجدا أمام جورباتشوف .

يقول المؤلف السفير إنه ليس هناك زعيم فى الغرب التقى بجورباتشوف ست مرات خلال أقل من خمس سنوات غير السيدة تاتشر .. وحتى قبل مجىء جورباتشوف إلى الزعامة كانت الرحلة الوحيدة التى قام بها هو وزوجته إلى العالم الرأسمالى . هى زيارتهما للندن فى مناسبة أعياد الكريسماس عام ١٩٨٤ . وخلال تلك الزيارة أبدت رايسا جورباتشوف إعجابها بمجوهرات « الليدى » تاتشر وسألتها عن اسم الجواهرجى الذى تتعامل معه ،

لكى تطلب منه طاقما مماثلا لطاقمها الذى كان يتألف من عقد وقرط وسوار ، ولكن السيدة تاتشر رفضت أن تفصح لها عن اسم الجواهرجى .. ثم عادت بعد ساعة فهمست فى أذن الزوج باسم المحل وعنوانه وكيفية الوصول إليه .

وبعد أقل من ثلاثة أشهر توفى الزعيم السوفيتى شيرننكو .. واختير جورباتشوف خلفا له ، حيث كان أصغر من تولى هذا المنصب ، وكانت احتفالات التنصيب مذاعة بالتليفزيون إلى كل أرجاء العالم ، وتابعت السيدة تاتشر الاحتفالات وفجأة لمحت السيدة رايسا جورباتشوف وهى تحيط جيدها ومعصمها وأذنيها بطاقم مماثل تماما لطاقمها .. ويقال إنها اتصلت بالجواهرجى الذى صنع هذا الطاقم وعنفته ، كما اتصلت أيضا بجورباتشوف فى موسكو وعاتبته .

وفى خريف ١٩٨٩ كانت الليدى تاتشر فى زيارة لطوكيو لحضور مؤتمر الاتحاد الدولى للأحزاب الديمقراطية الذى دعا له الحزب الديمقراطى الليبرالى فى اليابان . وهو اتحاد يضم الأحزاب اليمينية فى العالم ويعتبر مناوئا لاتحاد أحزاب الدولية الاشتراكية وفى طريق عودتها حرصت على أن تتوقف فى موسكو لقضاء بضع ساعات تتناول خلالها الغداء فى صحبة جورباتشوف ، وكان هذا هو لقاؤهما السادس والأخير ، ولم يدم أكثر من ثلاث ساعات .

ويقول المؤلف السفير إن العلاقة بين جوربى وماجى بدأت

بمصادمات وخناقات ثم تحولت إلى صلح ، ثم صدام آخر وجفاء ، ثم صفاء وود وانجذاب .

ففي عام ١٩٨٥ بعد مجيء جورباتشوف إلى الزعامة مباشرة ، وبعد أن ظلت تاتشر رئيسة للوزراء لمدة ست سنين .. تبادلت الدولتان طرد الدبلوماسيين والصحفيين ورجال الأعمال . فى مسلسل مثير بمعدل اثنين أو ثلاثة من كل جانب كل يوم ، حتى وصل عدد المطرودين من الجانبين ٦٢ ، وسط اتهامات متبادلة بالتجسس ! وسادت فترة من الجفاء بين الدولتين وبين جوربى وماجى لم يمكن معالجتها إلا بعد أن بعث جورباتشوف برسالة شخصية إلى تاتشر يدعوها للاشتراك فى « مفاوضات ثنائية مباشرة » حول نزع السلاح النووى ! وقبلت السيدة تاتشر بالمفاوضات المباشرة ونزع السلاح ! .. وطارت إلى موسكو فى ربيع عام ١٩٨٧ ، وكانت هذه أول زيارة رسمية لها إلى العاصمة السوفيتية .

ولم يكد يمضى عامان حتى كانت الدولتان قد شرعتا فى فصل جديد من عمليات الطرد التبادلية .. كان ضحاياها ١١ من الدبلوماسيين والصحفيين من كل جانب . وبعدها أصرت موسكو على إنقاص عدد البريطانيين المقيمين لديها – سواء من الدبلوماسيين أو المراسلين الصحفيين أو رجال الأعمال – من ٣٣٠ إلى ٢٠٥ فقط .. ولمدة أربعة شهور فشلت محاولات إثناء موسكو عن موقفها . وإزاء هذا الإصرار من جانب موسكو رأت « الليدى »

تاتشر أن تتحامل على نفسها وتقطع رحلة عودتها من طوكيو إلى لندن لكى تتوقف فى موسكو ، وتتناول الغداء على مائدة جورباتشوف وتتصافى معه . وتم التصافى خلال ثلاث ساعات .

أما اللقاء الحاسم الذى يقول عنه المؤلف إنه أحدث كل هذه التغييرات الكونية التى نراها الآن ، فقد جرى خلال زيارة جورباتشوف الأولى لبريطانيا قبل ثلاثة شهور فقط من توليه الزعامة . حيث كان فى ذلك الوقت عضو المكتب السياسى المسئول عن النقابات والاتحادات .

يقول المؤلف السفير : منذ اللحظات الأولى للقاء جوربى وماجى بدا واضحا أن هناك تجاذبا متبادلا بينهما ، وأن ثمة « كيمياء » تجعل كلا منهما متجاوبا مع الآخر .. وجرى الاتفاق على ترتيب الاجتماع فى استراحة «تشيكرز» وهى البيت الريفى المخصص لرؤساء الحكومات فى بريطانيا . وفى هذا اللقاء تعمدت الليدى تاتشر أن ترتدى أحلى ماالديها من ثياب ، واختارت « جونيللة » مفتوحة من الأمام بحيث تكشف « قليلا » عن ساقيها . هكذا يقول المؤلف السفير ، ثم يضيف : وقبل المقابلة كانت عيناها تلمعان وتنطقان بشعور الاشتياق واستعجال اللقاء ، تماما مثل عينى فتاة مراهقة فى أول موعد غرامى لها !

وأعدت الترتيبات بحيث يجلس كل من جوربى وماجى فى كرسى فوتيل أمام المدفأة وكل منهما فى مواجهة الآخر .. وأرادت ماجى أن تضفى على اللقاء جوا من الود والبعد عن الرسميات ، فخلعت

حذاءها ذا الكعب العالى ، وثنت ركبتيها ، لكى تريح قدميها تحتها ، ثم أسندت ظهرها على مسند الكرسى الوثير . لمزيد من الراحة وعدم الكلفة . وعندما فتح كل منهما حقيبته وأخرج أوراقه بادر جورببى قائلا : لماذا لا نستغنى عن هذا « البرشام » (يقصد الأوراق التى دون كل منهما فيها ملاحظاته) ، ونتكلم بلا رسميات؟ ووافقت ماجى على الفور.. وجرى الحديث بينهما سلسالا لمدة ساعتين ونصف الساعة .

وبعد الاجتماع قالت ماجى لمرافقيها : « إننى استطيع أن أعقد صفقة مع هذا الرجل » ويقول المؤلف مفسرا : وبعد حديث المدفأة هذا تحول جورباتشوف ١٨٠ درجة ، وتحول معه وجه العالم ..

ويمضى المؤلف السفير قائلا : كانت المشكلة بالنسبة لنا نحن المرافقين لجورباتشوف هى : كيف نبلغ موسكو بحقيقة ما حدث ؟ وعندما بعثت بتقرير مفصل إلى أندريه جروميكو (وزير الخارجية السوفيتى الراحل الذى عينه جورباتشوف فيما بعد رئيسا للدولة) .. فإنه لم يصدق عينيه ، وطلبنى لكى يقول لى : « ماهذا الهراء الذى تبعث به من لندن ؟ » .

وحدث أن جاء جورباتشوف فى زيارة سريعة لبريطانيا عام ١٩٨٧ بعد سنتين من توليه الزعامة ، وهبط لعدة ساعات فى قاعدة نورتون الجوية .. وكانت السيدة تاتشر فى استقباله وأيضا السفير المؤلف الذى يقول إنه ذهل عندما رأى رئيسة الوزراء ترتدى ثيابا أكثر بهاء من المرة السابقة ، وكانت ثيابها موشاة بفراء « السمور » الأسود وهو

نوع من الفراء يندر وجوده فى بريطانيا وكانت تتعطر بنوع من البارفان ذى رائحة نفاذة .. ويقول المؤلف : دعتنى أتناول قدح من القهوة فى استراحة الضباط بالقاعدة ، وقرأت فى عينيها نفس الشعور بالاشتياق واستعجال اللقاء ، ورغم برودة الجو فقد رفضت أن ترتدى المعطف عندما خرجت من استراحة القاعدة لاستقبال جوربى عند هبوطه من الطائرة .. كانت تريد أن تبدو أكثر جاذبية وأكثر إغراء .. هكذا يقول المؤلف .

ولدى عودتها إلى استراحة الضباط قدموا لها كاس ويسكى . على سبيل التدفئة كما تعودت . ولكنها رفضت قائلة : فلنتناول الفودكا .. وقلبت كأس الفودكا إلى فمها فى جرعة واحدة سريعة تماما مثلما يفعل الروس .

وفى نهاية الكتاب يقول المؤلف السفير إن ما بين جوربى وماجى لم يكن حبا ولا عشقا ، فليس هناك عشق فى عالم السياسة .. ولكن العلاقة كانت جاذبية مغناطيسية متبادلة .. كانت تحترمه وتستشعر السرور والبهجة عند لقائه ، وكانت ترى أنها هى التى اكتشفته من قبل أن يصبح سكرتيرا عاما للحزب الشيوعى السوفيتي ورئيسا للاتحاد السوفيتي .. إنها هى التى صنعت منه زعيما . وكانت تشتاق له اشتياق المكتشف إلى كشف عظيم تمكن من إنجازه ، أو اشتياق الصانع لرؤية « صنيعته » ..

ويوم ١٤ أكتوبر فى عيد ميلادها السبعين .. تلقت من جوربى

تهنئة تعكس العلاقة الشخصية ، فضلا عن العلاقة السياسية ، أما زملاؤها فى حزب المحافظين البريطانى فقد احتفلوا بعيد ميلادها طوال شهر أكتوبر .

وهى الآن تعمل – منذ ثلاث سنوات – « مستشارة » لواحدة من كبريات شركات السجاير الأمريكية بمرتب قدره مليون دولار فى السنة .. أما جورباتشوف فقد أنشأ معهد للدراسات وهو يعتمد فى دخله على المحاضرات التى يلقيها خارج بلاده . ذلك لأن المعاش الذى تصرفه له حكومته يعادل – بعد التسوية – ٨٦٠ دولارا شهريا .

والسيدة تاتشر حصلت من الملكة على لقب « بارونة » أو « ليدى » .. وقد نشرت أخيرا مذكراتها فى جزءين كبيرين معظمها هجوم على جون ميجور رئيس الوزراء البريطانى الحالى ، وكانت هى التى اختارته لهذا المنصب ، وكانت تعتبره أيضا صنيعتها ولكنه تمرد عليها .. وهى فى هذه المذكرات لا تكاد تذكر جوربى إلا فى إشارات عابرة ، كأنهما مسافران غريبان تلاقيا صدفة فى محطة ترانزيت ، ثم افترقا .. □

بوريس يلتسين

بعده الطوفان



موطنه الأصلى جبال الأورال التى تعتبر الفاصل الجغرافى بين روسيا الأوروبية وروسيا الآسيوية فهو خليط أوروبى آسيوى ، مزاجه متقلب بين دفء الشرق وبرودة سيبيريا ، أما فكره السياسى فيتجه نحو أوروبا والعالم الجديد .

وزنه ثقيل ، يحب الأكلات الدسمة ويعشق الكحوليات .. خلال زيارته الأخيرة لكل من الولايات المتحدة وفرنسا ، لمدة خمسة أيام ، أفرط — على مايبدو — فى لهط الدهنيات وارتشاف الـ« دراى مارتينى » والنبيذ الفرنسى و« عَب » من الحياة الحلوة ، ومن السهر أكثر مما يحتمله قلبه الذى عانى أزمتين من قبل فعاد إلى بلده لكى يصاب بأزمة قلبية ثالثة ، أدخلته المستشفى وأعاقته عن مهام الرئاسة لمدة شهرين .

عمره الآن ٦٤ سنة ، فى حين أن متوسط الأعمار فى روسيا حوالى ٥٧ سنة ، أى أنه قد جاوز العمر الافتراضى بسبع سنوات . وكان المفروض أن يتحفظ فى طعامه وفى شرابه ، وأن يريح قلبه العليل ، ويستمع إلى نصائح أطبائه . ولكن أطباءه يقولون أنه مريض غير ملتزم ولا مكترث ، ففيه طفولة تجعله أقرب إلى الولد الشقى الذى لا يستجيب للنصح ، ولا يقلع عن أهوائه ونزواته .

ورغم أن الكثيرين من رؤساء الدول اعتذروا عن عدم حضور

احتفالات . الأمم المتحدة باتمام عامها الخمسين .. فإنه لم يشأ أن يعتذر مثلهم رغم أن صحته أكثر هشاشة منهم ، وأصر على أن يطير إلى نيويورك ، وأن يشاهد من الجو تمثال الحرية ، وأن يقف فى طابور الملوك والرؤساء الذين اصطفوا لأخذ الصور التذكارية لهم .

وفى ضاحية « هايد بارك » الجميلة التى تقع على مشارف مدينة نيويورك ، وعلى مرأى من مبنى الأمم المتحدة .. التقى مع الرئيس الأمريكى كلينتون فى قمة « مصغرة » على هامش الدورة الخمسينية للمنظمة الدولية وقال بعد اللقاء : « كان اجتماعنا هذا هو أحلى اجتماع ، وكان أكثر اجتماعاتنا ودا وصفاء وتفهما » ولم يدر بخلده أنه يمكن أن يكون آخر اجتماع قمة من نوعه إذا – لا قدر الله – كانت أزمته القلبية الثالثة هى آخر الأزمات .

ولم يظهر عليه الاكتئاب إلا عندما سأله الصحفيون عما إذا كان لقاؤه بالرئيس الأمريكى قد انتهى إلى كارثة .. حيث رد عليهم بتجهم : الكارثة هى أنتم .

وقبل يوم واحد من الأزمة القلبية الأخيرة نشرت له صورة وهو يقرص إحدى سكرتيراته من كتفها ، بينما بدت على السكرتيرة علامات الذهول .

ورغم انغماسه فى ملذات الحياة .. فهو قليلا ما يبتسم ، بل إنه يبدو فى معظم صوره وهو فى حالة اشمئناط .

وفى موسكو يشتد الآن الصراع على خلافته فى منصبه فى حالة إذا ما .. فلو حدث الأسوأ ، وأدى الأمر إلى عجزه عن مواصلة الأعباء الثقيلة للرئاسة فسوف يتولى رئيس وزرائه - حسب الدستور الجديد الذى بدأ العمل به منذ سنتين فقط - مهام القائم بأعمال الرئيس ، على أن يدعو إلى أجراء انتخابات رئاسية خلال ثلاثة شهور .. وستكون شهورا مفعمة بالتوتر ، والأغلب أنها ستنتهى بمفاجأة يصعب التكهن بها الآن .

وعندما أجريت الانتخابات العامة فى ديسمبر الماضى كانت العناصر البارزة فى هذه المعركة الانتخابية هى : الشيوعيون السابقون والقوميون المتطرفون ، وكلاهما يشعر بالسخط على الحالة التى انتهت إليها روسيا ، حيث لم تعد قوة عظمى ولا عادت كلمتها مسموعة فى أى محفل دولى .. ولن يكون مستبعدا أن يقوم تحالف بين طرفى النقيض ، حيث أن الشيوعيين يحلمون بإعادة بناء الإمبراطورية السوفيتية . كما أن القوميين يريدون استعادة أمجاد الإمبراطورية الروسية .

وفى روسيا يطول الشتاء ويقسو على البشر ، ويلفهم بزمهريره .. ولكن شتاء روسيا الحالى سيكون - على غير العادة - ساخنا !

أما يلتسين نفسه فيبدو غير مكترث لشىء وكأنما هو يخرج لسانه للجميع ويقول لهم : من بعدى الطوفان !

ومنذ طفولته ظهرت عليه بوادر الشقاوة المبكرة ، فقد تشاجر

مع معلمته وهو فى الصف الأول الابتدائى لأن هذه المعلمة طلبت منه أن يحمل تموين منزلها من كانتين المدرسة إلى مطبخ بيتها ، ورفض أن يكون « شيالا » لهذه المعلمة المتعجرفة ، وشكاها إلى الناظر ، واقتنع الناظر بشكواه ، وانتهى الأمر بفصل المعلمة من المدرسة ، وأحس الطفل الشقى بنشوة الانتصار ..

إلا أن هذا الانتصار المبكر حوله إلى « فتوة » فدأب على ضرب أقرانه ، وفى إحدى المرات اشتبك فى خناقة حامية مع تلميذ أكبر منه ، وحمى الضرب بالأرجل والأيدى ، ولكن خصمه تمكن فى النهاية من توجيه لكمة له كسرت أنفه ، ولا تزال آثار هذا الكسر واضحة عليه حتى الآن .

وحدث أن عثر على قنبلة يدوية أثناء الحرب العالمية الثانية ، كانت من بقايا فلول القوات النازية عند انسحابها من الأراضى الروسية ، وراح يعبث بالقنبلة ، ثم حملها إلى مكان بعيد ، وأراد أن يحطمها بواسطة مطرقة ، وانفجرت فيه ، فطار معها أصبعا الإبهام والسبابة من يده اليسرى ، وهى عاهة عاش بها طوال حياته ، ويحاول الآن أن يخفيها بأن يدس يسراه فى جيب سرواله .

مؤهله الجامعى : بكالوريوس هندسة دفعة عام ١٩٥٥ .. وزوجته أيضا مهندسة ، ولهما ابنتان إحداهما مهندسة مبان والثانية مهندسة كمبيوتر .

وفى بداية اشتغاله بالسياسة كان يقول أن جميع المشاكل يمكن أن تحل بالمعادلات الهندسية ، وأن السلطة هى مجموعة من الخطوط المستقيمة والدائرية والمتعرجة وأن أشكال الحكم فيها المستطيل والمتوازى وشبه المنحرف .

ويبدو على بوريس يلتسين إنه طراز من البشر الذى لا يطيق الهزيمة ولا يقبل بها مهما كان الثمن . فهو عندما دخل فى صراع مع البرلمان فى خريف عام ١٩٩٣ لم يتورع عن إصدار الأمر بقصف مبنى البرلمان بالمدافع وتحطيم نوافذه وجدرانه فوق رؤوس النواب .

وقبل ذلك بسنتين جاءت محاولة الانقلاب الفاشلة ضد جورباتشوف فى أغسطس ١٩٩١ وهى المحاولة التى سعت لإعادة سطوة النظام الشيوعى .. وما كاد يصدر البيان رقم واحد لمدبرى الانقلاب .. حتى ترك يلتسين مقر الرئاسة ونزل إلى الشارع وسط المظاهرات المناوئة لمحاولة الانقلاب ، ثم صعد فوق دبابة ، وخطب فى الجماهير قائلا : « لا تخافوا من دعاة الانقلاب فإن دباباتهم من ورق ! .. اجعلوا من أجسامكم سياجا يقف فى وجه الدبابات والمصفحات ويوقف سيرها لكى تصبح كل دبابة وكل مصفحة مثل البطة العرجاء ، لا تستطيع أن تتقدم ولا تملك أن تستدير » . وسقط بعض المتظاهرين تحت جنازير الدبابات ، ولكن الانقلاب فشل بعد قيامه بثلاثة أيام . وأصبح يلتسين زعيم الشارع بلا منازع .

ولم تكن هذه هى المرة الأولى التى ينزل فيها إلى الشارع ..

ففى عام ١٩٨٧ عندما طردوه من عضوية المكتب السياسى . بسبب مشاغباته ، وحرموه من السيارة الفارهة التى كانت مخصصة لتنقلاته راح يستخدم وسائل المواصلات العامة ويزاحم الجماهير فى ركوب الأوتوبيس ومترو الانفاق ، ويقف فى طوابير الجمعيات التعاونية للحصول على طعامه وكسائه .. وعندما حظروا عليه العلاج هو وأسرته فى مستشفيات الكرملين الباذخة .. سجل نفسه فى كشوف المستوصف الشعبى للحى الذى يقيم فيه ..

والتف حوله الكادحون واعتبروه مثلهم الأعلى وزعيمهم الذى يحس بنبضهم ويعايش مشاكلهم .

لذلك فإنه لم تكد تمضى سنتان على طرده من المكتب السياسى حتى رشح نفسه لرئاسة البرلمان ونجح ، ثم لرئاسة الجمهورية ونجح باكتساح .. فى حين ظل الشيوعيون يعتبرونه زعيما ديماجوجيا .

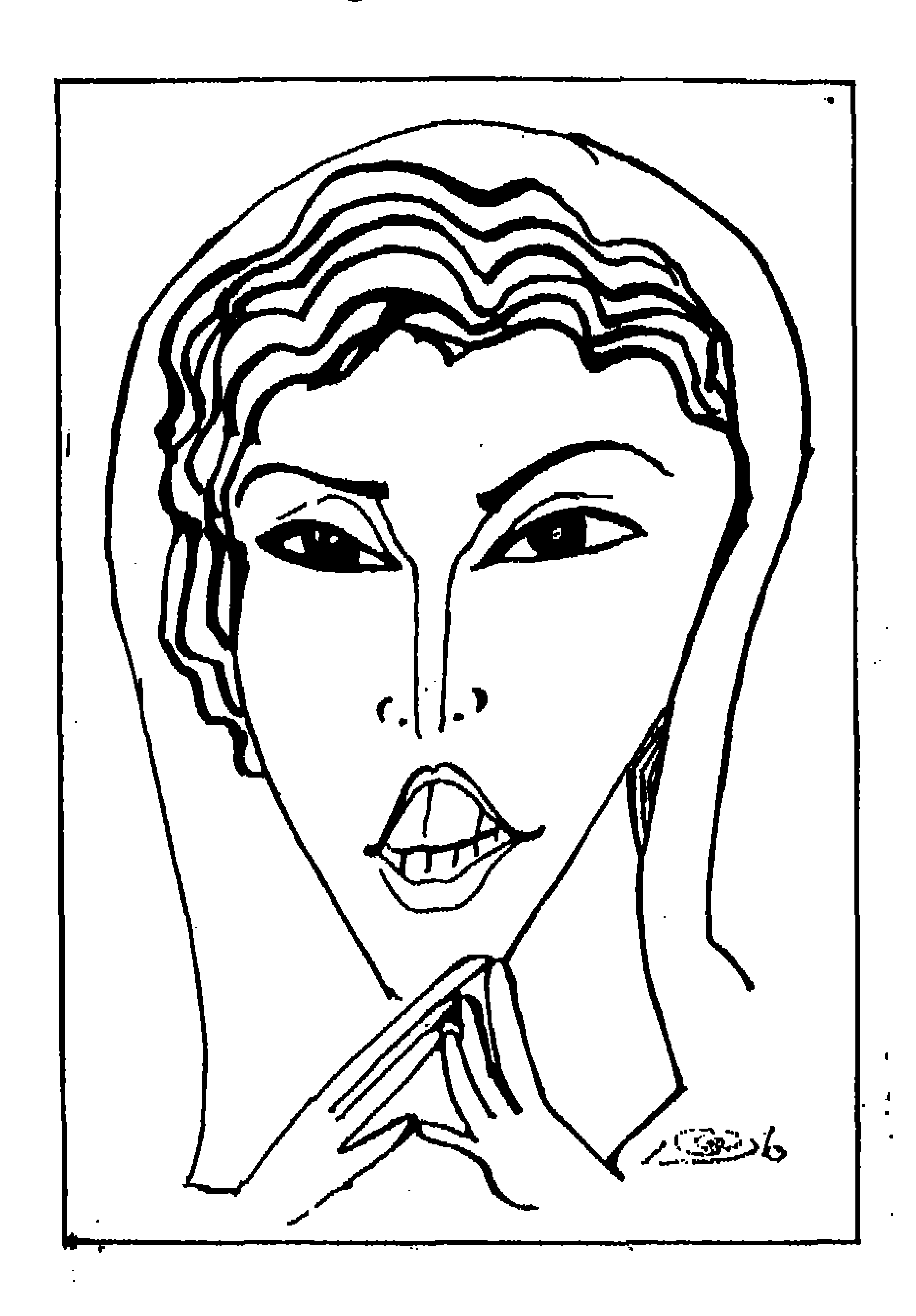
ولم يكد يتولى الرئاسة حتى بدأ فى نشر مذكراته التى تناول فيها تفاصيل الحياة الخاصة لأقطاب الحزب الشيوعى ، فقدم وصفا دقيقيا للترف الذى كان يتمرغ فيه هؤلاء الأقطاب ، والامتيازات التى كانوا ينعمون بها ، من طائرات خاصة وقصور ريفية ومأكولات ومشروبات فاخرة تصل إليهم فى مقار إقامتهم الشتوية والصيفية فضلا عن الأدوية والعقاقير المستوردة والخدم والحشم .. وراح يقارن بين هذه الحياة الرغدة وبين المواطن العادى الذى يلاقى شظف العيش .

وبحكم مولده يوم أول فبراير فهو ينتمى إلى برج الدلو ..

ويتميز مواليد هذا البرج بالميل إلى التجديد . ومن أبرزهم الرئيس الأمريكى الراحل فرانكلين روزفلت الذى تولى الرئاسة أربع دورات متتالية ، والسياسى الروسى أندرية جروميكو الذى ظل يشتغل بالدبلوماسية ٤٠ سنة ، وانتهى إلى منصب رئيس الدولة ، وهو منصب صورى وضعه فيه جورباتشوف فى بداية زعامته للحزب عام ١٩٨٥ ثم إزاحه بعد عامين لكى يموت كمدا بعد عامين آخرين ، ثم لكى يفقد جورباتشوف نفسه كل مناصبه بعد عام آخر ..

بينظير بوتو

ذات الشـــال



رأت والدها يساق إلى حبل المشنقة وينفذ فيه حكم الإعدام ثم يدفن بلا جنازة .. ولقى شقيقها مصرعه . وهو فى المنفى . بأيدى خصومها السياسيين .. وفى معركة الانتخابات الأخيرة .. وقف شقيقها الآخر فى صف خصومها ، وهاجمها بعنف ، وقال إنه هو الأولى بتولى زعامة الحزب الذى أسسه والدهما ذو الفقار على بوتو ، وبتبوء رئاسة الحكومة بدلا منها .. وحتى أمها وقفت ضدها !

ولم تهتز لها شعرة ، ومضت فى خطواتها الوئيدة .. إلى أن استطاعت أن تسحق منافسها الرئيسى نواز شريف ، بعد أن اقتحمت قلعته المنيعة فى بيشاور ، واستطاعت أن تغرى جناحا كبيرا من حزبه . الرابطة الإسلامية . بالانشقاق عنه والانضمام إلى صفوف مؤيديها .. وأصبحت رئيسة وزراء للمرة الثانية خلال أقل من خمس سنوات .

فى أواخر عام ١٩٨٨ ، أصبحت أول رئيسة حكومة فى دولة إسلامية فى التاريخ الحديث ، وبعد ثلاثة شهور من تقلدها المنصب أنجبت طفلتها الثانية .. فأصبحت أيضا أول امرأة تنجب وهى فى سدة الحكم .

وفى منتصف صيف ١٩٩٠ اختلفت مع رئيس الجمهورية اسحق خان ، الذى اتهمها هى وزوجها بممالأة الفساد ، وأصدر فرمانا بإقالة حكومتها ، وخرجت من الحكم يوم ٢ أغسطس ، وكان يوم الروع ، لأنه نفس اليوم الذى جرى فيه الغزو العراقى للكويت .. وانصرفت أنظار العالم إلى منطقة الخليج . ولم يلتفت أحد لما حدث فى إسلام أباد .

وتولى خصمها نواز شريف رئاسة الحكومة ، وهاجمها بوحشية وهى فى المعارضة ، وقدم زوجها إلى المحاكمة بتهمة الفساد ، ولكن المحكمة برأت ذمته من معظم التهم المالية المنسوبة إليه . وأفرج عنه فى اليوم التالى لإنجاب الابنة الثالثة . وأطلق الأبوان اسم « عاصفة » على المولودة .. ولم يستغرب أحد فالأب اسمه عاصف .. وهو ابن على زاردارى زعيم حزب « عوامى » .

وعندما تزوجت بينظير من رجل الأعمال عاصف زاردارى .. منذ ست سنوات .. حضر حفل العرس ٢٠ ألف مدعو .. أما فى حملتها الانتخابية الأخيرة فقد تجمع أكثر من مائة ألف متطوع للدعاية لها .

وعندما شرعت فى تشكيل وزارتها الجديدة .. سعت إلى ضم المستقلين وبعض الأحزاب الصغيرة إلى الائتلاف مع حزبها . (حزب الشعب) لكى تتحقق لها الأغلبية البرلمانية ، وكان أسرع

هذه الأحزاب إلى الانضمام إليها هو حزب عوامى الذى يتزعمه حماها .. أما أول شىء فعلته فى التشكيل الجديد فكان إسناد منصب وزارى إلى زوجها .

وهذا الزوج أقصر منها فى القامة ، وعندما يقف بجوارها فإن رأسه تصل بالكاد إلى مستوى كتفيها ولذلك فهو لا يظهر معها كثيرا فى الأماكن العامة .. وإذا ظهر فهو يتعمد ألا يقف بجانبها .

ولعل أبرز صفة تميزها هى هدوء الأعصاب ، فهى لا تبتهج كثيرا بالنجاح ولا تبتئس عند الفشل .. وقد شهدت فى حياتها العديد من الكوارث . فلم تلطم الخدود أو تشق الجيوب .. وربما كانت تستمد هذه الصلابة من إيمانها العميق ، وارتباطها القوى بالدين الإسلامى .. وفور فوزها فى الانتخابات توجهت إلى الأراضى المقدسة لأداء شعائر العمرة والزيارة النبوية الشريفة ، والتقت فى جدة بخادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز ، ثم طافت بدول الخليج الإسلامية .

وهى تحرص على ارتداء الزى الإسلامى ، ولا تتخلى أبدا عن الشال الأبيض الذى تحيط به رأسها وجيدها .. وهو منسوج من خيوط حريرية نصف شفافة ، وعندما تخطب فى الجماهير وتأخذها الحماسة فإن الشال ينحدر قليلا عن رأسها وينسدل إلى كتفها ، فتسارع هى إلى إعادة تدويره وإحكام لفاته حول شعرها وجيدها .

فيها عبق الشرق .. ولها كتاب عنوانه « ابنة الشرق » هو

بمثابة سيرة ذاتية لها ، تروى فيه ذكرياتها عندما كانت تدرس بجامعة هارفارد أشهر الجامعات الأمريكية ثم بجامعة أكسفورد أعرق الجامعات البريطانية ، حيث اختاروها هناك رئيسة لاتحاد الطلبة . كما تروى الأيام الأخيرة فى حياة والدها عندما كانت ترى الرسل يجيئون كل يوم لكى يعرضوا على الأسرة انقاذ عائلها من حبل المشنقة مقابل تقديم الاعتذار لرئيس الدولة الذى كان فى ذلك الوقت الجنرال ضياء الحق .. وكان والدها هو الذى اختار هذا الجنرال قائدا لجيش باكستان ولكنه انقلب عليه ثم أوعز بمحاكمته والحكم عليه بالإعدام .

وكانت الأسرة تستطيع حتى اليوم الأخير فى حياة عائلها أن تنقذ حياته بتقديم الاعتذار المطلوب .. ولكنها رفضت الإقدام على هذه المذلة .. وآثر جميع أفراد الأسرة . وفى مقدمتهم الأب . الموت على الإذلال .

وبعد إعدام بوتو بتسع سنوات لقى الجنرال ضياء الحق مصرعه فى حادث طائرة لم يتضح حتى الآن ما إذا كان مدبرا أم وقع قضاء وقدرًا .

وتزعمت بينظير نفس الحزب الذى أسسه والدها منذ نحو ثلاثين سنة ، وهو (حزب الشعب) وظلت تناضل بجهد أعيا كل الزعماء الرجال ، وتعرضت للسجن تارة ثم للنفى تارة أخرى ..

إلى أن أزيلت الغمة ، وعادت الديمقراطية إلى باكستان وأجريت انتخابات حرة فى نوفمبر ١٩٨٨ فاز فيها حزب الشعب باكتساح . وتولت بينظير رئاسة الحكومة فى ديسمبر ، وهو نفس الشهر الذى تولى فيه والدها الرئاسة قبل ١٨ عاما .

وفى الوزارة الأولى للسيدة بينظير اختارت والدتها البيجوم نصرت نائبة لها .. أما فى هذه الوزارة الثانية فقد كان الشقاق قد وقع بين الأم والابنة . كما دأبت الأم على مهاجمة زوج ابنتها ، وقالت بعد الإفراج عنه أنه « رد سجون » !

وبعد أن أمضت بينظير بوتو أكثر من ثلاث سنوات فى صفوف المعارضة .. فإنها الآن قد أعادت رسم خطاها وتحديد مسارها ، كما أصبحت تلقى تأييد قادة الجيش لها خلافا لما كان الحال فى المرة السابقة ، وذلك فضلا عن نجاحها فى السيطرة على إقليم البنجاب الذى يضم وحده ٧٠ مليون نسمة بالإضافة إلى إقليم السند الذى هو مسقط رأس أسرتها ، فضلا عن كسب الملايين الذين كانوا يناصرون خصمها من داخل قلعته فى المقاطعة الحدودية الشمالية الغربية التى عاصمتها بيشاور .

ولعل أكبر اختبار لها الآن هو مشكلة كشمير .. وهى تكاد تكون مشكلة أزلية ، فقد نشأت مع استقلال كل من الهند وباكستان عام ١٩٤٧ ، وعجزت كل المحافل الدولية والأقليمية عن إيجاد التسوية

لها ، وأصبح يضرب بها المثل فى العلوم السياسية ، كنموذج للمشكلة التى ليس لها حل .

وهذه المشكلة تشتد وتشتعل كل بضعة أعوام ، وبسببها خاضت الهند وباكستان حربين كبريين فى عام ١٩٤٨ ثم فى عام ١٩٦٥ . ثم اشتبكت الدولتان فى حرب ثالثة عام ١٩٧١ عندما كان بوتو رئيسا للجمهورية كان سببها هذه المرة « تمرد » باكستان الشرقية وفى ذلك الوقت بذل بوتو جهودا يائسة لمنع انقسام باكستان ولكن الجانب الشرقى استقل وأصبح الآن دولة بنجلاديش التى ترأس حكومتها أيضا سيدة هى البيجوم خالدة .. المهم أن معارك عام ١٩٧١ امتدت أيضا إلى مقاطعة كشمير .

وقد تشكلت فى السنوات الأخيرة جبهة لتحرير كشمير يرأسها زعيم كشميرى اسمه أمان الله خان .. ويطالب باستقلال المقاطعة ورفض الانضمام إلى باكستان أو الهند .. وتطالب الهند برأسه ، وتتهمه بقتل عدد من جنودها ، وهو يعيش فى المنفى متنقلا بين دول أوروبا .. وقد اعتقلته السلطات البلجيكية أخيرا بناء على أوامر من الأنتربول .. وتنظر محكمة بروكسل فى أمر ترحيله إلى الهند لمحاكمته هناك . وهذا الترحيل من شأنه أن يثير استياء باكستان .

ومنذ خمسة أعوام ثارت المشكلة من جديد عندما أعلن أربعة ملايين مسلم الثورة على الحكم الهندوكى ، فردت السلطات الهندية بإعلان حظر التجول بالمقاطعة واتهمت باكستان بتقديم العون للثوار

المسلمين .. وبدأ كل جانب يحشد قواته على خط وقف إطلاق النار متجاهلين اتفاقية سيملا التى وقعاها عام ١٩٧٢ والتى تقضى بإقامة منطقة عازلة منزوعة السلاح بينهما بعمق ١٠ كيلو مترات .

وفى السنتين الماضيتين . التهبت المشكلة مرة أخرى حيث حاصرت القوات الهندية مسجدا استولى عليه أربعون من المتطرفين واحتجزوا بداخله أكثر من ١٥٠ من الرهائن .. وتظاهر المئات أمام المسجد للمطالبة بفك الحصار عنه ، فالقت عليهم قوات الأمن الهندية القنابل المسيلة للدموع لتفريقهم .

ومن جهة أخرى فإن الولايات المتحدة تهدد بإدراج باكستان ضمن الدول التى تمالئ الإرهاب ، وذلك بسبب استمرارها — سرا — فى العمل على إنتاج قنبلة نووية ستكون الأولى فى أى دولة إسلامية .. وفى باكستان الآن ملايين من اللاجئين الأفغان وبسببهم حصلت على مساعدات أمريكية بالمليارات .

وفى يونيو الماضى احتفلت بينظير بعيد ميلادها الأربعين .. وبهذه المناسبة أعربت عن استعداد حكومتها لبدء حوار جاد وبناء لتسوية النزاع حول كشمير ، وبعثت هذا العرض فى رسالة إلى ناراتسيما أو رئيس وزراء الهند ، ردا على برقية تهنئة منه بمناسبة فوزها بمقعد رئيسة الوزراء للمرة الثانية .

بطرس غالى

الأســـــتاذ



أنت رجل الدولة البارز والأستاذ الكبير ..

بهذه الكلمات توجه رئيس الجمعية العامة للأمم المتحدة فى دورتها الـ ٤٨ بالحديث إلى الدكتور بطرس غالى بعد أن وافقت الجمعية العامة بالاجماع على اختيار الدكتور غالى لمنصب الأمين العام للمنظمة الدولية .

فالدكتور غالى مثلما هو « رجل دولة بارز » هو أيضا أستاذ أكاديمى كبير ، وهو صاحب مدرسة الجمع بين الدراسة الأكاديمية لعلوم السياسة والممارسة العملية للنشاط الدبلوماسى .

وهو كأستاذ جامعى ، له تلاميذ بالآلاف منتشرون على طول ساحة الحياة الدبلوماسية ..

وهو كأستاذ للصحافة المتخصصة فى مجال الاقتصاد والعلوم السياسية . وكمؤسس لمجلة « الأهرام الاقتصادى » وكأول رئيس تحرير لمجلة « السياسة الدولية » وكأول رئيس لأول قسم للعلوم السياسية فى الجامعات المصرية .. قد تخرج على يديه آلاف آخرون من المحللين السياسيين والكتاب المتخصصين لا فى مصر فقط وإنما فى كافة البلاد العربية والأفريقية .

وهو كمؤسس لمركز الدراسات الاستراتيجية بالأهرام قد وضع

اللبنة الأولى لأجيال من الدارسين المنقطعين للبحث عما وراء الأحداث السياسية وجذورها والاحتمالات المترتبة عليها فى المستقبل القريب والبعيد .

ولا يزال مكتبه قائما فى الطابق السادس من مبنى الأهرام .. وكان هذا المكتب حتى وقت قريب مزارًا للباحثين الذين يفدون إليه للاستنارة برأيه فيما يصعب عليهم فهمه من معضلات السياسية وخبايا المشاكل الدولية المعقدة .. وفى داخل غرفة المكتب رفوف تغطى الحوائط ، وتضم نماذج من رسائل الدكتوراه التى سهر على إعدادها تلاميذه والتى أشرف عليها وأسبغ على فصولها إشعاعات من فكره وخبرته وموسوعيته .

ومنذ الخمسينات وبعد سنوات قليلة من قيام الثورة .. كان الاندماج بينه وبين « الأهرام » وفى بيته كان يستقبل العشرات من أساتذة الجامعة والدارسين والباحثين ورجال الإعلام .. وحتى رسامى الكاريكاتير كانوا يجدون فى ملامح وجهه المصرية ، وابتسامته الودودة ونظرته المتفائلة مادة حية لرسومهم .. وما أكثر زوايا الرسوم الكاريكاتيرية التى نشرت له فى الصحف والمجلات المختلفة .

مذهبه السياسى هو الليبراليه .. لا يحصر نفسه فى إطار واحد ، ولا يقيد فكره بمنظور جامد يدافع عنه بالحق والباطل ، فهو منذ السبعينات أصبح « مهندس » السلام فى الشرق الأوسط ، ولكنه

لم يترك مناسبة إلا وأكد فيها التمسك بحقوق الشعب الفلسطينى .. إلى الحد الذى أثار عليه حنق الإسرائيليين ، وكان هو صاحب عبارة « السلام البارد » فى توصيف العلاقات بين مصر وإسرائيل .. حيث لايمكن أن تقوم علاقات طبيعية دون الوصول إلى السلام الشامل على كل المسارات .

ورغم كل ما كتب عنه من أنه سليل أسرة ارستقراطية وأن جده « الباشا » كان رئيسا لوزراء مصر فى بداية هذا القرن .. فإنه فى أحاديثه الخاصة يبدى الاعتداد بجذوره الريفية ، وبارتباطه بالتراب المصرى . فقد كان والده يعمل بالزراعة فى مسقط رأسه ، وهى قرية كفر عمار مركز العياط ، محافظة الجيزة . كما أن والدته تنتمى لأسرة ريفية فى صعيد مصر .

وله شقيق أصغر عمل فترة مستشارا بالأمم المتحدة ، والمرجح أنه أول فرد فى الأسرة يخرج من نطاق العمل المحلى إلى الدائرة الدولية .. كما أن له شقيقا آخر عضوا بمجلس الشورى ويمتلك شركة سياحية .

وابن شقيقه .. يوسف غالى . هو وزير الدولة لشئون التعاون الدولى ، وكان له دور بارز فى سلسلة المحادثات التى أجرتها مصر مع صندوق النقد الدولى ومع مجموعة دول نادى باريس ، وهى المحادثات التى أسفرت عن إسقاط نصف ديون مصر .

أما زوجة الدكتور غالى – السيدة ليا – فهى تنتمى لأسرة من رجال الأعمال والصناعة بالإسكندرية .

وكأمين عام للأمم المتحدة فإن الدكتور غالى يرأس طاقما ضخما من الموظفين الدوليين قوامهم حوالى ١٥ ألف موظف منتشرين فى كافة أرجاء العالم ما بين المقر الرئيسى بمدينة نيويورك والمقرر الأوروبى فى جنيف ومكاتب الأمم المتحدة بمختلف العواصم والمدن الكبرى .

ومن مهام الأمانة العامة للأمم المتحدة التوسط فى النزاعات التى تنشأ بين الدول ، والإشراف على قوات حفظ السلام الدولية ، وتنظيم المؤتمرات الدولية ، ومتابعة قضايا حقوق الإنسان ، ومشاكل العالم الاقتصادية والاجتماعية ، كما أن من مهام الأمين العام أخطار مجلس الأمن بأى مشكلة يرى أنها تهدد السلام العالمى .

وتخصص الأمم المتحدة للأمين العام مبنى سكنيا مؤلفا من أربعة طوابق فى الجانب الشرقى من نيويورك ، كما تخصص له مكاتب فى كل من نيويورك وجنيف وفيينا .

والمرتب الذى يحصل عليه لا يخضع لأى ضرائب من جانب الدولة المضيفة ، وهى الولايات المتحدة الأمريكية ، وهذا المرتب يقل عن مرتب الرئيس الأمريكى بمقدار ١٥ ألف دولار سنويا .. وكل من الرئيس الأمريكى والأمين العام للأمم المتحدة لا يسمح له بتلقى أى هدايا شخصية !

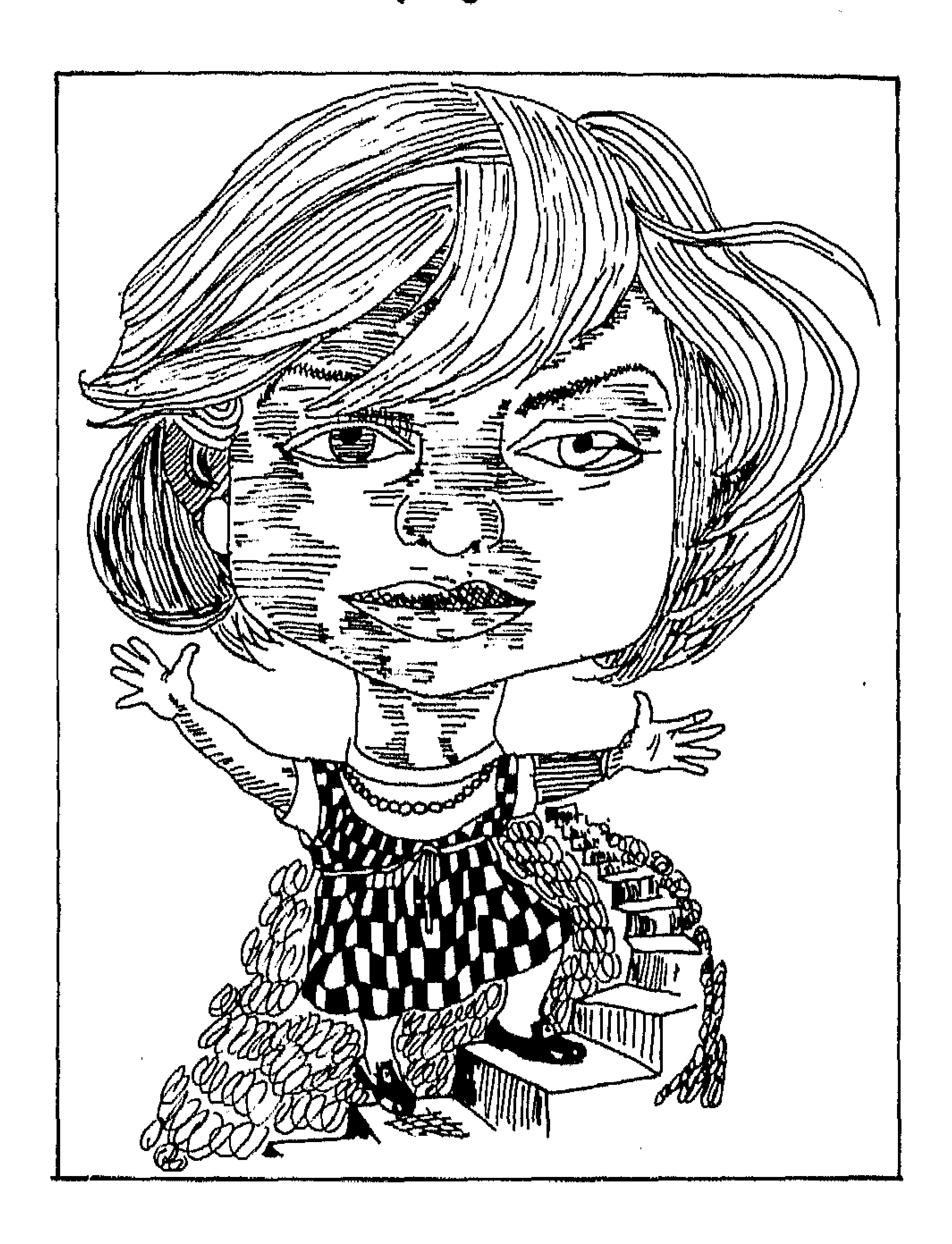
إن الدكتور غالى . الذى ظل لعدة سنوات « مهندس » السلام فى الشرق الأوسط أصبح اعتبارًا من أول يناير ١٩٩٣ مهندس السلام العالمى .. وأمامه العديد من مناطق التفجر فى العالم ، من أقصى الشرق فى كمبوديا إلى يوجوسلافيا فى أوروبا إلى مشكلة الصحراء فى شمال أفريقيا .. يضاف إلى ذلك مشكلة الديون التى تعانى منها الأمم المتحدة نتيجة لتأخر الدول الكبرى فى دفع التزاماتها المالية فى تمويل ميزانية المنظمة الدولية وفى نفقات قوات المحافظة على السلام ، الأمر الذى جعل الدكتور غالى يقول فى خطاب تنصيبه : « إننى أشعر بوطأة المسئولية وجسامتها منذ اللحظة الأولى » .

إلا أنه – مع دوره الجديد كممثل للضمير العالمى – لم ينس الإشارة إلى البلد الذى ينتمى إلى ترابه ، حيث قال بكلمات واضحة وبدون دبلوماسية : « إن انتمائى لمصر – الدولة العربية الأفريقية التى اضطلعت عبر العصور بدور الجسر للثقافات والبوتقة التى تفاعلت فيها الحضارات والأديان – يفرض علىّ أن اعتنق ما يسرى فى عروق كل مصرى وما يتسم به فكره ووجدانه .. ألا وهو الإيمان بأن السلام والأمن غاية والحوار والتفاوض أسلوب والوفاق والتعاون أمل » .

لقد كشفت هذه الكلمات عن الأصالة المصرية عندما ترقى إلى النطاق العالمى ، وأكد الوصف الذى أطلقه عليه رئيس الجمعية العامة من أنه رجل دولة بارز ، وأستاذ ..

طانسو تشيلير

النـاظــرة باشـا



بعد ٢٧ شهرًا فى الحكم استقالت وقالت إنها لا تستطيع الاستمرار فى التعاون مع الحزب المؤتلف معها فى الحكم وهو حزب الشعب ذو الميول اليسارية ، والذى يعتبر امتدادا للحزب الذى أنشأه أتاتورك عندما أسقط السلطنة وألغى الخلافة العثمانية ، لكى يشرع فى تأسيس تركيا الحديثة .

وهى لا تقل ولاء لأتاتورك عن حزب الشعب ، ولكنها تفهم مبادئ أتاتورك بشكل مختلف ، والحزب الذى تتزعمه اسمه « الصراط المستقيم » أو « الطريق القويم » ويمثل يمين الوسط وهو الحزب الذى أسسه الرئيس الحالى سليمان ديميريل ، ويعتبر امتدادا لحزب العدالة ، الذى هو بدوره امتداد للحزب الديمقراطى ، وهذا الحزب الأخير هو إحدى مآسى تركيا الحديثة ، فقد كان يتزعمه رئيس تركيا الأسبق جلال بايار الذى قام ضده انقلاب عسكرى عام ١٩٦٠ وهوى به من قصر الرئاسة إلى المعتقل ، فانتحر بالقاء نفسه من نافذة زنزانته . أما نائبه فى زعامة الحزب عدنان مندريس مندريس ، الذى كان رئيسا للوزراء فقد أعدمه قادة الانقلاب .

والرئيس ديميريل هو بمثابة الأب الروحى للدكتورة طانسو تشيلير .. والمعروف عنه أنه لم ينجب أبناء ولا بنات ، ولو كان تزوج فى سن مبكرة فلربما أصبحت له الآن ابنة فى سن طانسو .

وهو يرى أنها الآن – من حيث أنها وريثة الحزب الذى أسسه – تواجه العديد من المشاكل التى تكاد تستعصى على الحل ، وفى مقدتها ثورة الأكراد فى جنوب شرق تركيا ، واعتمادهم على الكر والفر السريع ، والتجاؤهم إلى المناطق الجبلية بشمال العراق ، وقد استمرت هذه الثورة ١١ عاما حتى الآن ، تكبد خلالها الجيش التركى خسائر كبيرة ، واضطر إلى إقحام نفسه فى عملية غزو عسكرى لشمال العراق مرتين فى العام الماضى فى الربيع ثم فى منتصف الصيف ، الأمر الذى أثار غضب الدول العربية وأيضا دول أوروبا ، التى ترتبط بها تركيا باتفاقية جمركية ، وهى اتفاقية لم يقرها بعد البرلمان الأوروبى .

ثم تأتى بعد ذلك المشكلة القبرصية التى يتحتم على تركيا أن تجد حلا لها ، والحل الذى تدعو إليه الأمم المتحدة هو سحب قوات الاحتلال التركية من القطاع الشمالى للجزيرة القبرصية ، وهو أمر ترفضه الأحزاب الدينية والقومية . وبدون هذا الانسحاب لن تستطيع تركيا تحقيق خطوة هامة نحو الاصلاح الاقتصادى ، هى الدخول إلى عضوية الاتحاد الأوروبى ، وهذه العضوية لن تأتى إلا بعد إقرار الاتفاقية الجمركية ، وهو ما تضعه السيدة طانسو فى أولى اهتماماتها .

وفى أول اجتماع لمجلس الوزراء برئاستها .. ظهرت وهى تضع على عينيها نظارة طبية .. وعلق أحد وزراء حزب الشعب قائلا : شكلك للآن يشبه حضرة الناظرة .

وهم يطلقون على الوزير اسم « بقان » أى « ناظر » أما المقابل التركى للقب رئيس الوزراء فهو « باشبقان » أى « باشناظر » وبالتالى فإن السيدة طانسو هى « باشناظرة » أو « ناظرة باشا » وليست فقط ، حضرة الناظرة ، كما أراد أن يصورها ذلك الوزير المشاغب عضو حزب الشعب .

وهى أول امرأة فى تركيا الحديثة ، والقديمة ، وتتبوأ مقعد رئاسة الحكومة .. كثيرات غيرها حاولن وفشلن ، أما هى فتبدو ملكة جمال بين سائر سيدات تركيا اللاتى اشتغلن بالسياسة ، وسعين للاقتراب من سدة الحكم بمشقة ، لأنه لا تزال للرجل السيطرة على العمل السياسى فى تركيا .

وفى نفس أسبوع توليها رئاسة الوزارة .. انتخبت أوروبا فتاة تركية ملكة للجمال الأوروبى ، واختار الرئيس الأمريكى كلينتون امرأة لكى تكون أول وزيرة للعدل . فقد كان قدومها هو قدوم السعد لنساء تركيا ولكل سيدات الدنيا .

صحف بلادها تقول إنها أجمل رئيسة وزراء فى العالم ، وأن ابتسامتها تشع بالتألق وحديثها يأسر الأسماع وصوتها مثل وقع قطرات الندى ودعابتها صارخة بالأنوثة ، ولكن كل هذه الصفات الرقيقة تخفى وراءها امرأة صلبة الإرادة عنيدة فى خلافاتها مع خصومها وحلفائها على السواء .

وفى الغرب يشبهونها برئيسة وزراء بريطانيا السابقة مارجريت تاتشر من حيث صلابتها وعنادها .. ويقال أن تاتشر هى التى أوعزت إلى طانسو بأن تقتحم رئاسة الحكومة . وذلك خلال عشاء جمعهما معا فى لندن فى بداية عام ١٩٩٢ .

وكانت طانسو قد انضمت إلى حزب . الصراط المستقيم ، عام ١٩٩٠ عندما كان هذا الحزب فى المعارضة ، لكنها لم تلبث أن انطلقت مثل الصاروخ ، فأصبحت فى نفس العام نائبة فى البرلمان ثم فى العام التالى وزيرة دولة للشئون الاقتصادية وبعد عامين نائبة لزعيم الحزب ، فزعيمة للحزب ورئيسة للوزراء فى يونيو ١٩٩٣ .

وعندما رشحت لزعامة حزبها كان منافسها الرئيسى هو وزير الداخلية عصمت شيزجين ، ولكنها اكتسحته ، لأنها اعتمدت فى دعايتها على ترديد عبارة « إننى أتعامل مع جميع أعضاء الحزب بمحبة الأخت وحنان الأم » وظلت بعد ذلك تردد هذه العبارة لاسيما فى زياراتها للمناطق الريفية ، واكتسبت بها شعبية كبيرة بين أهل الريف الذين يهتمون كثيرا بالروابط الأسرية وصلة الرحم .

وهى الثالثة بين رئيسات الوزراء فى العالم الإسلامى بعد بينظير بوتو فى باكستان والبيجوم خالدة ضياء فى بنجلاديش وكلتاهما تعانى أيضا من متاعب داخلية .

وفى فبراير عام ١٩٩٤ طارت السيدتان طانسو وبينظير إلى

سيراييفو فى رحلة اجتذبت اهتمام وسائل الإعلام الغربية ، وكان الهدف منها لفت الانظار إلى محنة المسلمين فى البوسنة .

وخلال الجلسات الصاخبة للبرلمان فى نوفمبر ١٩٩٤ كانت تبدو وكأنها تحمل عصا سحرية ، تدفع بها النوم عن عيون النواب الموقرين ، لكى يواصلوا النقاش والجدال حتى الساعات الأولى من الصباح ، ولكى يقروا فى النهاية – على مضض – قانون بيع المشروعات الحكومية إلى القطاع الخاص ، وهو ركن أساسى فى سياستها الاقتصادية .

وفى كثير من الليالى كانت تدعو أعضاء البرلمان – الذين يبلغ عددهم ٤٥٠ نائبا – إلى تناول الأطعمة التركية التقليدية ، هى مرق الكرشة ، ونوع من البيتزا باللحم المفروم ومكعبات لحم الضأن ويسمونها هناك « لحمعجون » .. وكانت تقدم هذه الوجبات للنواب خلال فترات الاستراحة فيما بين المناقشات والمداولات .

وفى الخريف الماضى نجحت فى إعادة الوفاق إلى أطراف الائتلاف الحاكم الذى ترأسه وأعادت تشكيل وزارتها بعد أن كانت قد استقالت فى الصيف .

تقول البطاقة العائلية للسيدة طانسو أنها مولودة فى أسطنبول كبرى مدن تركيا . فى خريف عام ١٩٤٦ وأن ديانتها مسلمة واسمها الرسمى اوتشران تشيلير ، أما طانسو فهو اسم الدلع . وولدها اسمه حسين نجاتى وأمها اسمها زبيدة .

الأب كان صحفيا ، وأصدر صحيفة فى أسطنبول لم تلق الكثير من الرواج . فترك الصحافة إلى العمل الحكومى حيث تقلد منصب مدير العلاقات العامة فى بلدية أسطنبول ، ثم أصبح رئيسا للحى الأرستقراطى بالمدينة ، وظل فى هذا المنصب إلى أن أحيل إلى المعاش منذ عشر سنوات .

أما الأم فلم يكن لها نشاط سياسى أو اجتماعى ، وإنما عرف عنها أنها سيدة بيت ممتازة تجيد طهى الوجبات الشهية وإعداد الحلويات التى يسيل لها اللعاب .

والسيدة طونسو نفسها لم تفكر بالاشتغال بالسياسية إلا منذ ست سنوات فقط أما قبل ذلك فكانت تكتفى بالتدريس فى الجامعة بعد حصولها على درجة الدكتوراه فى الاقتصاد من جامعة كونيتيكات الأمريكية . فقد عينت أستاذا مساعدا ، بجامعة البسفور عام ١٩٧٨ ، ثم أستاذة ورئيسة قسم فى عام ١٩٨٣ .

مولدها ونشأتها وصباها ودراستها كانت فى أسطنبول ، وكذلك اشتغالها بالتدريس فى الجامعة ، وعندما دخلت البرلمان كانت نائبة عن إحدى دوائر مدينة أسطنبول . وحتى بعد أن أصبحت وزيرة ثم رئيسة وزراء ما زالت تحتفظ بمنزلها القائم فى أسطنبول على ضفة البسفور . وهى تملك أيضا بيتين فى الولايات المتحدة أحدهما فى مدينة روكفيل بولاية ماريلاند ، والثانى فى ريف ولاية نيوها مبشاير ، ولكن محلها المختار ما زال هو شاطئ البسفور .

منذ أربعة شهور أتمت ٤٩ سنة وعندما سألها الصحفيون عن سنها غالطت فى سنتين ، وزعمت إنها تزوجت فى سن ١٥ ، قبل حصولها على الثانوية العامة . فى حين تقول الأوراق الرسمية أنها تزوجت فى سن ١٧ .

وخلال دراستها الثانوية أحبت زميلا لها اسمه أوزير جاء من قرية بستانجى الواقعة على الجانب الأسيوى من محافظة أسطنبول . وكان هو ابن عمدة القرية وكان هذا العمدة اسمه رمزى بك . ولكن أسرته كانت ريفية بالقياس إلى أسرة طانسو .. وكانت نظرته لها خلال فترة الخطوبة هى نظرة الفلاح إلى بنت البندر .

وخلال دراستها الثانوية اشتهرت بين زميلاتها بأنها « بنت ذوات » رغم أن أسرتها لم تكن غنية وإنما كانت أقرب إلى الطبقة المتوسطة وربما كان السبب فى أرستقراطيتها أنها كانت وحيدة والديها ، ودلوعة الأسرة ، كما كانت « البنت الحلوة » التى يقع فى غرامها كل أولاد الجيران ويتنافسون على كسب ودها .

وكانت تقضى معظم وقتها فى ممارسة الرياضة وعزف الموسيقى والتمثيل على مسرح المدرسة ، وقد اضطلعت بدور البطولة فى مسرحية مدرسية اسمها « البحث عن أمى » .

وفى السنة الأخيرة لتعليمها الثانوى رأست فريق كرة السلة وحصل الفريق على البطولة بين كل فرق الآنسات على مستوى محافظة أسطنبول .

كذلك كانت عضوا بارزا فى نادى الموسيقى ، وهى تجيد العزف على الأورج ، ولها أيضا محاولات فى التأليف الموسيقى .

ولم تكد تبلغ ميعة الصبا حتى تقدم لخطبتها عشرات الوجهاء من أبناء أكرم عائلات أسطنبول ، ولكنها اختارت أن تتزوج من زميلها الريفى ابن عمدة قرية « بستانجى » .

ويقال أن والدها كان يود أن ينجب ابنا ذكرا . وأنه اشترط مسبقا على الزوج أن يحمل اسم أسرة الزوجة وليس العكس ، وذلك لكى يضمن الأب أن أحفاده سيخلدون اسمه من بعده .. وإكراما لخاطر طانسو وافق الزوج على هذا الشرط الذى لا مثيل له فى تركيا ولا فى أى بلد شرقى . وهكذا أصبح اسمه بعد الزواج « أوزير أوتشران » .

وبعد شهر العسل طار الزوجان إلى ولاية كونيتيكات الأمريكية بعد أن حصلا على منحة دراسية فى جامعتها عام ١٩٦٣ ولهما الآن ابن وابنة ، أما الزوج فقد أصبح – مثل زوج السيدة مارجريت تاتشر – رجل أعمال .

وهى الآن تجيد التكلم باللغتين الانجليزية والألمانية ، وقد زارت مصر فى خريف العام قبل الماضى وقامت برحلة نيلية على متن أحد الفنادق العائمة وخلال الرحلة تهافت عليها الصحفيون المحليون والأجانب مثلما يتهافت النحل على قطعة من الحلوى ..

اسحق رابين

العدو من الداخل



فى يوم ١٣ أكتوبر الماضى نشرت صحيفة جيروزاليم بوست تصريحا لرئيس وزراء إسرائيل اسحق رابين قال فيه : « أنا لا أخشى من أى محاولة للاعتداء على حياتى » .. وبعد عشرين يوما وقعت محاولة الاعتداء على حياته ، ولم تكن مجرد محاولة ، فقد اغتيل بالفعل !

هل كان يريد أن يقرأ الغيب ، وأخطأ فى القراءة ؟

وأثناء تشييع جنازته وصفه بعض المتحدثين بأنه « شهيد السلام » ، فهو قد خاض العديد من الحروب ونجا من كل معاركها ، لكى يسقط صريع معركة السلام .. كما أنه واحد من جنرالات إسرائيل الذين اقتنعوا بعدم جدوى الحرب – بعد طول ممارستهم لها – وبأن الأجدى هو الحل السلمى . وقد اتضح موقفه السلمى منذ نحو ست سنوات . فعندما دعا الرئيس حسنى مبارك عام ١٩٨٩ إلى إجراء محادثات بين الإسرائيليين والفلسطينيين عارض شامير هذه الدعوة فى حين بادر رابين إلى الموافقة عليها .

ويقولون عنه أيضا إنه رجل المفاجآت .. فليس موته فقط هو المفاجأة التى لم يكن يتوقعها أحد ، ولا حسب حسابها أحد حتى ولا هو نفسه .. وإنما فى حياته مفاجآت أخرى عديدة .

فهو فى بداية حياته درس فلاحة الأرض ، وتخرج بامتياز فى كلية الزراعة بمنطقة الجليل ، ثم ظهرت فجأة مواهبه العسكرية ، ولم تكد تمر عليه سنوات معدودة فى خدمة الجيش حتى ترقى سريعا فى الرتب العسكرية ، وسجل رقما قياسيا كأصغر جنرال فى جيش إسرائيل ، ثم تولى رئاسة الأركان قبل أن يتم ٤٢ سنة .

ورغم هذا الانجاز فقد ترك الجيش بعد حرب يونيو ١٩٦٧ ، وتحول إلى الدبلوماسية ، حيث اختير سفيرا لإسرائيل فى واشنطن . وفى ذلك الوقت قال إن هذا التحول ليس مفاجأة ، فقد سبق له القيام بمهام دبلوماسية عندما مثل بلاده فى محادثات الهدنة الإسرائيلية العربية التى جرت فى جزيرة رودس تحت إشراف الأمم المتحدة ، فى أعقاب حرب فلسطين وانتهت بتوقيع الهدنة المصرية الإسرائيلية فى فبراير ١٩٤٩ ، وأيضا اتفاقات هدنة مع سائر الدول العربية المتاخمة لإسرائيل فى العام التالى .

وعندما قامت حرب أكتوبر ١٩٧٣ كان لا يزال سفيرا لبلاده فى واشنطن ، فلم يشترك فى هذه الحرب ، وإنما عاد بعدها لكى يشهد مساءلة العديد من جنرالات إسرائيل عن تقصيرهم فى الأداء العسكرى .. ووسط الجو العام لانتقاد كبار العسكريين والساسة قام هو بدور بارز فى الوصول إلى اتفاقات الفصل بين القوات على الجبهتين المصرية والسورية ثم رشح نفسه للكنيست عن حزب

العمل ، وأصبح نائبا . وخلال عام واحد أصبح رئيسا للوزراء خلفا للسيدة جولدا مائير .

إلا أنه اضطر للاستقالة بعد ثلاث سنوات عندما كشفت الصحف الإسرائيلية أن زوجته السيدة « ليئا » خالفت القانون الإسرائيلي باحتفاظها بحساب فى بنك أمريكى بعد أن انتهت إقامتها فى الولايات المتحدة كزوجة للسفير السابق ..

وبسبب هذه الاستقالة فقد حزب العمل الكثير من شعبيته ، وعندما أجريت الانتخابات العامة فى بداية عام ١٩٧٧ .. فاز الليكود ، وتولى الحكم فى إسرائيل لأول مرة بعد أن ظل فى المعارضة لمدة ٢٩ سنة .

ومنذ استقالة رابين ظل الرجل الثانى فى حزب العمل .. الذى كان يتزعمه شمعون بيرس . إلا أن بيرس فشل فى أربع دورات انتخابية متتالية فى تحقيق فوز واضح للحزب . ومن ثم قرر الحزب فى فبراير ١٩٩٢ اختيار رابين لزعامته على أن يصبح بيرس نائبا له .

ولم يخيب رابين أمل حزب العمل ، فقد قاد الحزب إلى انتصار واضح فى صيف عام ١٩٩٢ ، وتمكن من اخراج شامير من السلطة إلى عالم النسيان ، كما إنه أنهى ١٥ عاما من حكم الليكود . وعقب هذا الانتصار قال رابين : أعتقد أننى تعلمت الآن الكثير عن كيفية إدارة دفة الحكم .

ولم يغب رابين كثيرا عن الساحة السياسية فيما بين استقالته من رئاسة الحكومة وعودته لها .. ففى عام ١٩٨٤ استطاع أن يقنع حزب العمل بالدخول فى ائتلاف مع الليكود . وفى هذه الحكومة الائتلافية تولى هو منصب وزير الدفاع .

وكوزير للدفاع فإنه رتب لعملية انسحاب القوات الإسرائيلية من جنوب لبنان ، ولم يتم الانسحاب نهائيا ، وانما أبقت قوات الاحتلال الإسرائيلية على شريط حدودى بعمق ١٠ كيلو مترات داخل الأراضى اللبنانية ، وانشأت فى هذا الشريط جيشا مواليا لها من العناصر اللبنانية المنشقة عن السلطة الشرعية ، وهو الجيش الذى يتولى قيادته الجنرال انطوان لحد .

وواجه أيضا - كوزير للدفاع - بداية الانتفاضة الفلسطينية فى غزة والضفة الغربية . وكان هو صاحب نظرية ضرب أطفال وشباب الانتفاضة بالهراوات بدلا من اطلاق الرصاص عليهم ، وعندما طبق الجنود الإسرائيليون هذه النظرية فإنهم كسروا عظام العديد من الشباب الفلسطينى بطريقة وحشية آثارت عليه الكثير من السخط .. حتى أن بعض منظمات المقاومة اعتبرته هو - وليس شامير - العدو الأول للفلسطينيين ..

وعلى حين ظل شامير حتى اللحظة الأخيرة من حكمه يؤكد عناده وإصراره على عدم إعادة شبر واحد من الأراضى المحتلة إلى

الفلسطينيين متذرعا بالدعاوى الأسطورية حول « أرض إسرائيل التوراتية » .. فإن رابين أخذ يبدى الرغبة – لاسيما بعد مؤتمر مدريد للسلام عام ١٩٩١ – فى دفع جهود السلام ، وتصحيح أخطاء الماضى .. ثم أوضح فى حملته الانتخابية لعام ١٩٩٢ إنه يعتزم منح الفلسطينيين الحكم الذاتى فى فترة تتراوح ما بين ستة أشهر ، وسنة ، وكان أول زعيم إسرائيلى يعلن إن من حق الفلسطينيين أن يطمحوا إلى إقامة دولة لهم فوق أرضهم .

وفى العام التالى لعودته إلى رئاسة الحكومة جرت فى النرويج محادثات سرية بين ممثلى إسرائيل ، ومنظمة التحرير الفلسطينية انتهت إلى توقيع اتفاق الاعتراف المتبادل والمتزامن بينهما ، ثم إلى اتفاقية أوسلو الخاصة بالحكم الذاتى الفلسطينى ، وتبعها بعد ذلك فى صيف عام ١٩٩٣ التوقيع فى البيت الأبيض بواشنطن على اتفاق إعلان المبادئ الإسرائيلى الفلسطينى ، ثم اتفاق القاهرة فى ٤ مايو ١٩٩٤ ، الذى أكمله اتفاق طابا فى سبتمبر الماضى بشأن تنفيذ الحكم الذاتى فى الضفة الغربية وإعادة انتشار الجيش الإسرائيلى ، وتسليم خمس مدن أخرى إلى سلطة الحكم الذاتى الفلسطينية ، وهو ما تجرى ترتيباته الآن بالفعل استعدادا لاجراء انتخابات فلسطينية .

كذلك فإن رابين وقع فى يوليو من العام الماضى ، فى حديقة البيت الأبيض مرة أخرى ، وثيقة انهاء حالة الحرب بين إسرائيل والأردن .

والجانب الأكبر من الإسرائيليين يرون فى رابين بطلا قوميا ، ويذكرون له إنه هو الذى أشرف – وهو رئيس للوزراء – على عملية انقاذ ركاب الطائرة الفرنسية التى اختطفت إلى أوغندا فى منتصف صيف عام ١٩٧٦ ، وكان على متنها عشرات من الركاب الإسرائيليين ، ضمن ركاب من عدة جنسيات أخرى .. تم إنقاذهم جميعا ماعدا راكبة واحدة ، فيما عرف باسم عملية عنتيبى نسبة إلى المطار الذى اختطفت إليه الطائرة . وفى هذه العملية لقى قائد مجموعة الإنقاذ الإسرائيلية مصرعه أثناء عملية اقتحام الطائرة .

وينتمى رابين إلى الجيل الذى يطلقون عليه اسم « الصابرا » أى الذين ولدوا على أرض فلسطين ، فقد جاء مولده فى القدس لأب قادم من الولايات المتحدة ، وأم قادمة من روسيا ، وكما إنه أول رئيس وزراء إسرائيلى يجىء من الصابرا ، فهو أيضا أول حاكم لإسرائيل – على الاطلاق – يقضى نحبه صريعا .. ومن حيث كان الظن أن يأتى مصرعه على أيدى أحد « الإرهابيين » العرب .. فإن الذى اغتاله كان إرهابيا « من الداخل » وسط تجمع احتفالى ضم أكثر من مائة ألف من أنصار السلام ..

اندیرا غاندی

أرملة تلبس تاجا من الشوك



بينما كانت وفود المهنئين تفد على دار السيدة انديرا غاندى وتهتف بحياتها وتقلدها طاقات الزهور ، وبينما كانت البرقيات ترد من مختلف عواصم العالم حاملة تمنيات النجاح والتوفيق عندما تقلدت رئاسة الوزارة لأول مرة فى بداية عام ١٩٦٦ .. كان هناك كاهن هندوسى عجوز يقف وسط الجماهير ويهز رأسه فى أسى قائلا : « مسكينة هذه الأرملة ، لقد حكمت على نفسها بالأشغال الشاقة . إن التاج الذى وضعوه على رأسها يحمل من الأشواك أكثر مما يحمل من الزهور » .

كانت كلمات هذا الكاهن الهندوسى إشارة واضحة إلى المهام والأعباء الكبرى التى حملتها انديرا على كتفيها منذ اللحظة التى قررت فيها اللجنة البرلمانية لحزب المؤتمر الهندى اختيارها زعيمة للحزب ، ومن ثم رئيسة للوزارة . وهى نفس اللحظة التى عبرت انديرا عن مشاعرها إزاءها قائلة : « إن قلبى مفعم بالغبطة ولا أدرى كيف أشكركم ! » ؟

لقد ظلت انديرا تعيش فى شبه عزلة انطواء طوال السنوات السابقة وسط مجتمع يسيطر عليه الرجال ، وكانت ومازالت تنعم بثراء واسع فى بلد تطحنه المجاعة . برغم الخجل البادى عليها

فهى تحمل نفس قسمات الوجه الصارمة التى ورثتها عن والدها الراحل نهرو ، وإن لم تكن تحمل كل آرائه ولا كل قوة شخصيته .

فالمعروف عنها أنها كانت أميل إلى اليسار من والدها . وقد ظهر ميلها اليسارى من قبل أن تشتغل بالسياسة ومن قبل أن تتشكل آراؤها فى مشاكل بلادها التى كانت تحملها الآن على كاهلها الدقيق .. كان ذلك فى أيام شبابها الأولى حيث كانت تدرس فى جامعة أوكسفورد ، وهناك أحبت زميلا لها وقررت أن تتزوجه رغم التقاليد الهندية ورغم معارضة أسرتها ووالدها بالذات .

فقد كان الشاب الذى اختارته – اسمه فيروز غاندى – ينتمى إلى طائفة نشأت أصلا فى بلاد الفرس ، أما انديرا تنتمى إلى طائفة الهندوس البراهمة التى تعتبر نفسها أرقى طوائف الهند على الاطلاق ، وبالتالى لا يجوز لها أن تختلط دماؤها بالطوائف الأخرى . وفى ذلك الوقت بعث بعض أفراد الطائفة تهديدات بقتلها إذا هى أقدمت على الزواج من فيروز .. وتقول انديرا أنها لم تتأثر بهذه التهديدات ، فثارت على التقاليد ونجحت فى الاقتران بالشاب الذى أحبته والذى ظلت تحمل اسم أسرته حتى وفاتها . وبعد الزواج رحل العروسان إلى كشمير لقضاء شهر العسل وسط مناظرها الطبيعية الخلابة . وقبل أن ينتهى شهر العسل ألقت سلطات الاستعمار البريطانى القبض على العروسين بتهمة القيام بأعمال « التخريب » !

وقد جاء هذا الزواج فى ربيع عام ١٩٤٢ وجاءت بعده فترة السجن التى استمرت ١٣ شهرا أمضتها أنديرا فى تعليم القراءة والكتابة للأميات من الفتيات اللاتى كن يقمن معها فى نفس المعتقل .

ومن الغريب أن الشخص الوحيد - من أصدقاء الأسرة - الذى وافق على هذا الزواج كان المهاتما غاندى الزعيم الروحى للهند ، والذى لم تكن تربطه أى صلة بفيروز غاندى رغم تشابه الأسماء .

والأغرب من ذلك أن هذا الزواج - الذى قام على الحب وتحدى التقاليد والأسرة - لم يستمر طويلا ، فسرعان ما انتهى إلى الانفصال بعد أن أنجبت انديرا طفليها راجيف وسانجاى فى عامى ١٩٤٤ و ١٩٤٦ على التوالى ، وقد درس كلاهما فى جامعة كمبريدج ببريطانيا .

أما والد الطفلين فقد مات فى صيف عام ١٩٦٠ متأثرا بأزمة قلبية بعد مرض قصير وفى صيف عام ١٩٦٤ مات نهرو متأثرا بأزمة قلبية بعد مرض قصير أيضا !

ولم يكن لأنديرا أشقاء ولا شقيقات ، وبالتالى فقد انكفأت إلى الانطواء والعزلة .

وهى تقول أن الحلقة الذهبية فى حياتها كانت فيما بين عامى

١٩٤٣ و ١٩٤٦ . ففى خلال هذه السنوات كانت فى أوج السعادة الزوجية ، أما بعدها فقد أخذت تبتعد عن زوجها بقدر تقربها إلى السياسة وإلى أبيها .

ففى عام ١٩٤٦ أصبح نهرو رئيسا للحكومة المؤقتة التى تشكلت تمهيدا للاستقلال وكان قد خرج من المعتقل لتوه ، وبالتالى فقد وجد نفسه يحل ضيفا على ابنته وزوجها وأصبح الثلاثة يعيشون تحت سقف واحد ! وأثر الاستقلال انتخب زوج أنديرا عضوا فى البرلمان ، فقرر أن يتخذ له مسكنا مستقلا يستقبل فيه أبناء دائرته ، وآثرت أنديرا البقاء بجانب أبيها ومن هنا بدأ الانفصال بين الزوجين .

وعندما ولدت أنديرا فى خريف عام ١٩١٧ كان العالم قد أخذ يشهد بداية النهاية للامبراطورية البريطانية واقتراب نهاية الحرب العالمية الأولى ، وقيام ثورة البلشفيك فى روسيا . وكان البيت الذى ولدت فيه بمدينة الله آباد يحمل اسم « اناند بها فان » وهما كلمتان هنديتان معناهما « بيت السعادة » ، ولكن انديرا لم تعرف السعادة منذ طفولتها المبكرة ، ففى سنواتها الأولى كانت ضعيفة عليلة من أثر مرض التهاب الحلق الذى ظلت تعانى منه أربعة أعوام حتى خشيت الأسرة على انديرا الصغيرة من أن تكون قد أصيبت بنفس المرض الصدرى الذى أدى إلى وفاة أمها فى عام ١٩٣٦ .

وتقول أنديرا : « لا أذكر أننى كنت الهو فى طفولتى كسائر

الأطفال ، وحتى الدمية التى اشترتها لى أمى لم تكن تروق لى » .. فقد رأت انديرا جميع أفراد أسرتها وهم يساقون إلى المعتقل وكانت تشهد البوليس الإنجليزى وهو يفتش بيت الأسرة مرة كل أسبوع .

كانت اللعبة الوحيدة التى بقيت لانديرا لكى تتسلى بها هى السياسة ، ففى « بيت السعادة » كانت تدور دائما مناقشات سياسية حول الاستعمار والكفاح والاستقلال وبدأت أنديرا لعبة السياسة قبل أن يبلغ عمرها ١٢ سنة ، حيث كانت تلقى الخطب على خدم المنزل حول ضرورة الكفاح من أجل التحرر ، وقد وصفت فيما بعد هذه المرحلة بقولها : « كنت مثل جان دارك احترق وأنا مشدودة إلى مكانى فى البيت عاجزة عن القيام بأى عمل لإنقاذ وطنى وأسرتى » .

وفى عام ١٩٣٠ وفى مناسبة عيد ميلاد انديرا الثالث عشر كتب نهرو – ضمن الرسائل التى وجهها إلى ابنته من داخل السجن – كتب إليها يقول : « ما هى الهدية التى أستطيع تقديمها إليك فى يوم ذكرى مولدك ؟ .. لا شىء غير هذه الكلمات التى لن تقدر جدران السجن ، مهما ارتفعت أن تمنعها من الوصول إليك » .

وقد أوصى نهرو لابنته بكل ثروته بما فى ذلك منزل الأسرة فى « الله آباد » .

وكانت الآن فى فيللا من طابق واحد ومعها طباخ و « جناينى » وخادم خاص وثلاثة كلاب ذات ألوان ذهبية كان يربيها والدها وآلت إليها ضمن الميراث .

وخلال فترة رئاستها للحزب وقعت معارك الحدود العنيفة بين الهند والصين واتخذ الحزب موقفا صلبا موحدا تجاه هذا التهديد .

وقد استطاعت بالفعل أن تعيد إلى الحزب الكثير من حيويته ، كما دفعت أعضاءه فى مقاطعة كيرالا إلى التحالف مع الرابطة الإسلامية هناك من أجل اسقاط الحكومة الشيوعية المحلية التى كانت قد تشكلت فى الولاية . ونجحت فى هذا المسعى .

ولم تكن وهى فى رئاسة الحزب ، تعمل وحدها .. وإنما كانت تسترشد دائما برأى والدها ، وفى كل مساء كانت تجمع ملفا كبيرا يضم الأوراق الخاصة بالقضايا والمشاكل التى لم تستطع البت فيها برأى ثم تأخذ فى عرضها على الbانديت نهرو . وقد قالت فيما بعد : « إن السياسة قد سرقت منا أغلى ما كان عندنا .. الجو العائلى الهادئ » .

ولم تستمر فى رئاسة الحزب أكثر من عام واحد . فقد آثرت أن تتفرغ لرعاية ولديها ووالدها . ثم أعلنت أن أقصى ما تتمناه هو ألا ترى ولديها يشتغلان بالسياسة ، فهى ترجو أن يكون كل

منهما قد اتعظ بعد أن رأى جده رئيسا للوزراء ثم أمه - بعد عام ونصف - رئيسة للوزراء .

ومن عجب أن ابنها الأصغر سانجاى لقى مصرعه فى حادث سقوط طائرة ، أما ابنها الأكبر راجيف الذى أصبح رئيسا للوزراء بعد سنوات قليلة مصرعها بين حارسها ، فقد اغتيل فى مارس ١٩٩١ عندما انفجرت فيه قنبلة خلال احدى المعارك الانتخابية .

وحسب ما تقوله انديرا فإن أكبر شخصيتين أثرتا فى حياتها هما طاغور وغاندى . فإن طاغور جعلها تحب الشعر وسائر الفنون الأخرى . أما غاندى فقد جعلها تحب أباها .. وهى تذكر أن غاندى قال لها وهى طفلة - بعد أن رأها تتسلل خلف خطوط الجنود البريطانيين « لو كنت مكان أبيك لأعددتك للاشتغال فى أجهزة البوليس .. » .

مانديلا . .

الزنبقة السوداء



ربما لم يظهر زعيم أسود أشادت به الصحف العالمية مثل نلسون مانديلا . فمنذ الافراج عنه فى فبراير ١٩٩٠ راحت صحف العالم الكبرى – على اختلاف توجهاتها ومشاربها – تعيد إلى الأذهان نضال هذا الثائر الأفريقى الذى تحدى أعتى الأنظمة العنصرية وآثر أن يمضى نحو ٢٨ عاما فى السجن حتى لا يفرط فى مبادئه قيد شعرة !

وكانت صحف الغرب قد دأبت على السخرية من الزعماء الأفريقيين ، والأزدراء بهم .. ولكنها ازاء مانديلا كان موقفها هو التبجيل والاجلال .. فهى هنا إزاء زعيم من طراز نادر مثل ندرة الزنبقة السوداء التى لا أثر بها لأى شائبة .. هو زعيم نسيج وحده وطراز ذاته .

لم يكد يصل عمره إلى ٤٤ سنة حتى كان قد وصل إلى الصف الأول فى زعامة الجبهة القومية السوداء بجنوب أفريقيا .

كانت السلطات العنصرية قد اعتقلته لمدة خمس سنوات بتهمة « الخيانة العظمى » ! .. وقدمته للمحاكمة التى حكمت فى النهاية بتبرئته فى مارس ١٩٦١ بعدها تحول إلى وسيلة المقاومة السرية .. حيث اختبأ عن أنظار السلطة العنصرية وأخذ يصدر

البيانات والنداءات اليومية من مخبئه إلى جميع المواطنين السود بأن ينظموا المظاهرات والاضرابات عن العمل .. وكانت هذه النداءات تحدث فعل السحر . وراحت الشرطة العنصرية تطارده فى كل مكان بينما كان هو يغير مكان مبيته كل ليلة .. كان موجودا فى كل مكان . فى القرى والمدن والنجوع حيث يجد فى كل بقعة بيتا من بيوت أصدقائه الذين يثق بهم .

ولم يكن يستقر مع أسرته .. وعندما سألته ابنته لماذا اخترت هذا الطريق .. أجابها : إن هذا الطريق هو الذى اختارنى . ثم أضاف : ما الذى يمكن أن أفعل بعد أن حظرت السلطات العنصرية البيضاء نشاط حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى .. وبعد أن ارتكبت مذبحة شارب فيل .. ؟

وأطلق أنصاره عليه اسم « الزنبقة السوداء » وسرعان ما أصبح هذا الاسم هو الذى تنطق به الشفاه فى كل مكان وأصبح شعار الوطنيين الأفريقيين هو الزنبقة السوداء موجود فى كل بقعة من بلادنا .

وابتداء من مايو ١٩٦١ بدأ مرحلة جديدة من النضال حيث دعا جميع الوطنيين السود إلى وقف أى تعاون مع حكومة الأقلية العنصرية البيضاء .. وقال : نريد أن نجعل مهمة هذه الحكومة مستحيلة .. فهى تحرمنا من حقوقنا السياسية وفى نفس الوقت تجبى منا الضرائب . لن ندفع لهم قرشا واحدا إلا بعد أن نتساوى معهم فى حق الانتخاب وحق الترشيح للبرلمان .

وأدرك مانديلا بعد ذلك أن شعبه لن ينتصر فى معركة التحرير بالمقاومة السلبية وحدها وإنما يتحتم على الشعب أن يصبح معدا للكفاح المسلح .. وفى يناير ١٩٦٢ خلع ملابسه المدنية وارتدى البدلة الكاكى واستطاع أن يعبر الحدود إلى بوتسوانا ومنها إلى العاصمة الأثيوبية أديس أبابا حيث كان يعقد هناك مؤتمر حركة تحرير شرق ووسط أفريقيا ، وبعد المؤتمر سافر إلى دار السلام ثم إلى لاجوس ثم إلى القاهرة ودول شمال وغرب أفريقيا قبل أن يطير إلى لندن ويلتقى بزعماء حزب العمال البريطانى الذى كان فى المعارضة .

وفى يوليو من نفس العام ١٩٦٢ عاد إلى بلاده .. وكانت عناوين الصحف « عودة الزنبقة السوداء » .. ونشطت الشرطة العنصرية من جديد وقامت بحملة محمومة لتفتيش كل الأماكن التى تتصور أن مانديلا قد يلجأ إليها واستمرت الحملة ثلاثة أسابيع بلا جدوى .

كان مانديلا قد حل فى ضاحية لمدينة جوهانسبرج حيث أعد له أنصاره مخبأ بعيدا عن أنظار السلطة العنصرية .. وبعد أيام آثر الانتقال إلى مدينة دوربان حيث تنكر فى هيئة سائق . وفى يوم الأحد ٥ أغسطس لحقت بسيارته احدى دوريات الشرطة بعد أن قطع ساعة ونصف الساعة فى الطريق إلى خارج دوربان .. وسرعان ما أحدقت به الدورية من كل جانب.. وهكذا بدأت فترة اعتقاله التى استمرت زهاء ٢٨ عاما من ٥ أغسطس ١٩٦٢ إلى ١١ فبراير ١٩٩٠ .

ومنذ اليوم الأول للقبض عليه خرج ملايين الوطنيين السود مطالبة بالإفراج عنه وأخذوا ينتظمون فى المظاهرات والمؤتمرات شعبية فى كل مكان .. وكان رد الحكومة العنصرية أن أصدرت را بحظر جميع الاجتماعات والتجمعات .

وأخذوه فى البداية إلى جوهانسبرج ثم إلى بريتوريا .. وكانوا نقلونه داخل سيارة عتيقة ليس فيها مقاعد ولم يكن يجد شيئا جلس عليه سوى إطار كاوتش متهالك .

وفى الجلسة الأولى لمحاكمته .. لم يكد يدخل إلى القاعة حتى .وت بالتصفيق .. وكان يتدثر بفراء فهد وظل متمسكا بهذا الدثار حتى انتهاء محاكمته .. وكان الاتهام الموجه إليه هو إنه طبع ووزع نشورات تدعو العمال للاضراب مما ترتب عليه اضراب عشرات لآلاف عن العمل خلال صيف عام ١٩٦١ ، كما أنه غادر البلاد ثم :خل إليها دون استخراج وثائق سفر .

وتولى مانديلا الدفاع عن نفسه حيث أن مهنته هى المحاماة وكان مقتضبا فى دفاعه ولم يطلب أى شهود وأنهى مرافعته قائلا : اعترف بكل التهم المدرجة فى قرار اتهامى ولكننى لا أرى فيها أى جرم .

وأثناء المحاكمة سدت القوات العنصرية الشوارع المؤدية لمبنى المحكمة وحولت المرور إلى شوارع فرعية واتخذ رجال الشرطة مواقعهم حول مبنى المحكمة وهم مزودون بالقنابل المسيلة للدموع .

وفى الجلسة الثانية شرح للمحكمة كيف إنه بدأ حياته العملية محاميا ولكن السلطات العنصرية لم تلبث أن أمرته بأن ينقل مكتبه من مدينة جوهانسبرج إلى واحدة من المدن المخصصة لسكنى السود !

وصدر الحكم عليه بالسجن عامين بتهمة الاثارة وثلاث سنوات بتهمة مغادرة البلاد بدون جواز سفر .

وذهب إلى السجن تاركا وراءه زوجة شابة وابنتين صغيرتين بالإضافة إلى ثلاثة أبناء من زوجة سابقة .

وكان المفروض أن تنتهى فترة السجن بعد خمس سنوات .. ولكن السلطات العنصرية لم تلبث أن وجهت إليه تهما أخرى من بينها « التخريب » وقدمته إلى المحاكمة من جديد وأصدرت عليه حكما بالسجن مدى الحياة فى أكتوبر ١٩٦٣ .

أما التخريب الذى اتهمته به السلطات العنصرية .. فقد بدأ فى ١٤ يونيو ١٩٦٤ عندما نسف الوطنيون واجهة مكتب بريد جوهانسبرج .. ومنذ ذلك الوقت بدأ النضال الفعلى للوطنيين الذى كان يقوده مانديلا من داخل سجنه وهو النضال الذى تصورت تلك السلطات إنه سينتهى بالحكم على الزنبقة السوداء مدى الحياة . وعقب الافراج عنه بأربع سنوات أجريت أول انتخابات ديمقراطية في جنوب أفريقيا ، أسفرت عن اختيار مانديلا كأول رئيس أسود للبلاد .

جيمى كارتر

الجوكـــر



مع إشراقة شمس أول أيام عام ١٩٩٤ بدأت فى البوسنة هدنة مدتها أربعة شهور .. هذه الهدنة التى جاءت بعد ٣٢ شهرا من القتال كانت بمثابة التمهيد لاجراء محادثات بين أطراف النزاع للاتفاق على كيفية تنفيذ خطة السلام الدولية . وهى الخطة التى رفضها صرب البوسنة ثم عادوا فوافقوا عليها من خلال وساطة الرئيس الأمريكى الأسبق جيمى كارتر .. والاتفاق على خطة السلام وعلى الهدنة وعلى اطلاق سراح الأسرى من الجانبين لم يستغرق من كارتر أكثر من ثلاثة أيام خلال رحلة خاطفة من مسقط رأسه بولاية جورجيا إلى مدينة سراييفو .

وعندما شرع كارتر فى مهمة الوساطة هذه فى أواسط ديسمبر ١٩٩٤ .. قال الكثيرون إنها ستفشل ، فقد سبق أن فشلت فيها الأمم المتحدة وحلف الأطلنطى ومجموعة الاتصال التى تتألف من خمس دول كبرى ، ولكن كارتر أقبل على المهمة وصحب فيها زوجته روزالين ، وكأنه ذاهب فى نزهة سياسية ..

وقبل بضعة أشهر كان قد طار من أقصى شرق الكرة الأرضية ثم إلى أقصى غربها .. حيث هبط فى بيونج يانج لكى يستميل الزعيم الكورى الشمالى المخضرم كيم ايل سونج ويقنعه بضرورة

التخلى عن إنتاج الأسلحة النووية والاتجاه إلى استخدام الطاقة الذرية فى الأغراض السلمية بدعم مالى وفنى من الولايات المتحدة .
وبعد أيام قليلة من الموافقة مات كيم ايل سونج . وكأنما هو قد عاش ٨٢ سنة – منها ٤٦ سنة فى الحكم – لكى يكون آخر قرار له هو الذى وسوس به إليه « الشيطان » الأمريكى .. وهذا الوصف الأخير مأخوذ من قاموس الكوريين الشماليين .

وبعد بيونج يانج هبط كارتر فى مطار بورت أوبرينس لكى يكون على موعد مع القادة العسكريين فى جمهورية هايتى حيث استطاع أن يقنعهم بأن يتخلوا عن الحكم الذى اغتصبوه فى ديسمبر ٩١ حتى تعود السلطة إلى الرئيس الشرعى الذى كان قد انتخبه الشعب فى ديسمبر ٩٠ .

ويأتى ترتيب كارتر الـ ٣٩ بين الرؤساء الأمريكيين وهو أول رئيس من الجنوب منذ الحرب الأهلية ، وخلال فترة رئاسته التى لم تتجاوز دورة واحدة (١٩٧٧ – ١٩٨١) توسط لعقد اتفاقات كامب ديفيد فى خريف عام ١٩٧٨ ، ثم وقع كطرف ثالث على معاهدة السلام المصرية الإسرائيلية فى ربيع ١٩٧٩ .

وبعد سنوات قليلة من انتهاء رئاسته توسط بين أثيوبيا وثوار اريتريا ، وأثمرت وساطته قيام دولة اريتريا المستقلة برئاسة أسياسى أفورقى عام ١٩٩٢ ، وأصبحت عضوًا فى منظمة الوحدة الأفريقية فى العام التالى .

كذلك شارك كارتر كمراقب فى الانتخابات الرئاسية التى أجريت فى بنما عام ١٩٨٩ ، وشهد مع العديد من المراقبين الآخرين ، على تزوير هذه الانتخابات ، وكانت هذه الشهادة هى الذريعة التى استندت إليها الولايات المتحدة فى غزوها العسكرى لبنما وأسرها للحاكم العسكرى الجنرال نورييجا وترحيله إلى الولايات المتحدة ومحاكمته ..

اسمه الرسمى جيمس ايرل كارتر . أما جيمى فهو اسم التدليل ، ووالده أيضا كان اسمه جيمس ومات منذ ٤٣ سنة ، ووالدته ليليان توفيت بعد تركه الرئاسة وهو من مواليد برج الميزان ، ووساطته مطلوبة فى أى نزاع سواء فى الشرق الأوسط أو الأقصى أو أفريقيا أو أمريكا اللاتينية ، فهو مثل الجوكر فى لعبة الكوتشينة .. « يسد » فى أى موقع ويحل عقدة أى نزاع ، وينظم حوله أوراق اللعب ويعرف كيف يوفق بين الخصوم وينسق بين مواقفهم المتنافرة ، لكى يلتقوا فى النهاية على أسس مشتركة ينطلقون منها إلى التفاوض حول التفاصيل . عمره الآن ٧١ سنة وأربعة شهور وفى عام مولده صدر القانون الخاص باعتبار جميع الهنود الحمر مواطنين أمريكيين .. وهو لم يدرس علوم السياسة ولا القانون الدولى ، وإنما درس قوانين البحار وتكنولوجيا السفن والملاحة فى أعالى البحار ، وبعد أن تخرج من الأكاديمية البحرية الأمريكية عمل فى برنامج إعداد الغواصات الذرية ، ولم يترك هذا العمل

إلا بعد وفاة والده عام ١٩٥٣ حيث تفرغ للمزرعة التى ورثها ، واتجه إلى الاهتمام بزراعة الفول السودانى وحلج الأقطان .

وفى عام ١٩٦٦ جرب أن يرشح نفسه لمنصب حاكم ولاية جورجيا ، ولكنه سقط ، وأعاد ترشيح نفسه بعد أربع سنوات ونجح .. وإلى ما قبل معركة الرئاسة عام ١٩٧٦ لم يكن اسمه معروفا خارج ولايته ، وفى الاستفتاءات الأولى كانت نسبة المؤيدين له سبعة فى المائة فقط .. ولكنه اتجه بحملته الانتخابية إلى التركيز على محاربة الفساد الذى ارتبط بفترة الرئيس الجمهورى الراحل ريتشارد نيكسون ، وقال إن دينه هو نظافة اليد وطهارة الذيل وحماية حقوق الإنسان ، فلم تلبث الأصوات المؤيدة له أن تضاعفت حتى لم يجد الحزب الديمقراطى بدا من اختياره مرشحا رسميا له ، وبهذا الاختيار أصبح من السهل عليه أن ينتصر على المرشح الجمهورى جيرالد فورد الذى كان قد دخل إلى البيت الأبيض قبل بضعة أشهر بلا انتخاب ولا استفتاء ، وإنما وجد نفسه فجأة فى قمة السلطة التنفيذية بعد استقالة نائب الرئيس سبيرو أجنيو ثم استقالة الرئيس نيكسون نفسه فى ذروة فضيحة ووترجيت الشهيرة .

وخلال رئاسة كارتر قامت الثورة الايرانية بزعامة الامام الخمينى ، وهاجم الطلبة الايرانيون مقر السفارة الأمريكية فى طهران ، واتخذوا من طاقم السفارة رهائن لمدة ٤٤٤ يوما ، ولم يطلق سراحهم إلا فى اليوم التالى لانتهاء رئاسة كارتر ، وبدء رئاسة

رونالد ريجان .. فكانت أول مهمة لكارتر بعد انتهاء رئاسته هى التوجه – بناء على تكليف الرئيس « الجديد » – إلى إحدى القواعد العسكرية الأمريكية فى ألمانيا لكى يكون فى استقبال رهائن السفارة ، حيث جرى توقيع الكشف الطبى عليهم قبل عودتهم إلى وطنهم .

وخلال فترة رئاسة كارتر أيضا وقع الغزو العسكرى السوفيتى لأفغانستان فى ديسمبر ١٩٧٩ ، وكان الرد الأمريكى الذى اتخذه كارتر هو حظر تصدير القمح إلى « الاتحاد السوفيتى » ومقاطعة دورة الألعاب الأوليمبية التى نظمت فى موسكو فى العام التالى .

وبعد سنوات من تركه الرئاسة انشأ مؤسسة « ذات نفع عام » ، أطلق عليها اسم « مركز كارتر » ، ومهامها الأساسية هى السعى لحل النزاعات الاقليمية والعالمية بالحكمة والتؤدة والتروى ، والحث على الالتزام بمبادئ الديمقراطية وحقوق الإنسان فى كافة أرجاء المعمورة .

وفى الفترة الأخيرة تولى رئاسة مؤسسة أخرى تحمل اسم « عالم سنة ٢٠٠٠ » بالتعاون مع الملياردير تيد تيرنر زوج النجمة المعروفة جين فوندا وصاحب شبكة تليفزيون « سى إن إن » الشهيرة ، وتهدف هذه المؤسسة إلى قيام ائتلاف دولى لعالم تتوحد فيه الأجناس والعقائد والأديان ، وهو هدف أقرب إلى الأحلام ، ولكنهم يقولون إن أعظم الإنجازات كانت فى البداية تبدو أحلاما .

وقد اقترن جيمى كارتر بروزالين بعد عام واحد من انتهاء الحرب العالمية الثانية ، حيث كان عمره ٢٢ سنة وعمرها ١٩ سنة ، ولهما الآن ثلاثة أولاد هم : تشيب وجيف وجاك وابنة واحدة اسمها إيمى هى آخر العنقود وعمرها ٢٨ سنة ..

ولجيمى أخ اسمه بيلى يصغره بـ ١٣ سنة ، وعندما نجح جيمى فى الوصول إلى الرئاسة .. رشح بيلى نفسه لمنصب عمدة مدينة بلينز مسقط رأس الأسرة . ولكنه سقط سقوطا مدويا . وبعد ثلاث سنوات ، جرى التحقيق معه بتهمتى الرشوة والعمالة لدولة أجنبية ! .

وفى أكتوبر ١٩٩٤ عند احتفال جيمى كارتر بعيد ميلاده السبعين تلقى جائزة فولبرايت للتفاهم الدولى وقيمتها ٥٠ ألف دولار ، وصاحب هذه الجائزة هو السناتور السابق ويليام فولبرايت الذى توفى أخيرا عن تسعين سنة وهو ينتمى للحزب الديمقراطى مثل كارتر ومثل الرئيس الحالى بيل كلينتون . وهذا السناتور هو الذى وضع البرنامج الذى يحمل اسمه منذ عام ١٩٤٤ ، والخاص بالتبادل الثقافى والتعليمى ، وهو ينتمى إلى ذات الولاية الجنوبية التى كان كلينتون حاكما لها وهى ولاية اركانسو .

ولا تبعد اركانسو كثيرا عن ولاية جورجيا ، التى ينتمى إليها كارتر ، وهذه الأخيرة هى التى أنجبت الملاكم محمد على كلاى والزعيم الأسود مارتن لوثر كينج (الذى اغتاله المتطرفون البيض

عام ١٩٦٨ والحائز على جائزة نوبل للسلام عام ١٩٦٤) والروائية مارجريت ميتشيل صاحبة الرواية المشهورة « ذهب مع الريح » .

ويطلقون على جورجيا اسم « امباير ستيت الجنوب » أو « ولاية الخوخ » وفيها نموذج صغير للبيت الأبيض كان الرئيس الراحل روزفلت يتخذ منه مقرا شتويا حيث الدفء فى الجنوب ، وفى هذه الولاية جرى اكتشاف الذهب لأول مرة فى الولايات المتحدة ، ومنها بدأت أول اندفاعة نحو الغرب فى سبيل « البحث عن الذهب » بعد اكتشاف الذهب بكميات أكبر فى ولاية كاليفورنيا عام ١٨٤٨ .

وقد كان يوم أول فبراير الحالى ، وهو آخر موعد لقبول الترشيحات لجائزة نوبل للسلام للعام الحالى .. والمرجح أن اسم كارتر كان بين أوائل المرشحين ..

كاسترو

فى معسكر الأسرى



الطريق إلى مجتمع الوفرة يبدأ بزورق ..

كان هذا هو شعار أهالى كوبا لأكثر من ٢٨ سنة فعلى مدى ثلاثة عقود تقريبا ، ظلت الولايات المتحدة تمنح حق اللجوء تلقائيا لأى كوبى يتمكن من الوصول إلى الساحل الأمريكى .. وأقرب ساحل أمريكى لكوبا هو الشاطئ الجنوبى لولاية فلوريدا .. والمسافة بين كوبا وفلوريدا يقطعها أى زورق فى بضع ساعات .. وكان أى مواطن فى كوبا يحصل على زورق أو مكان فى زورق يضمن لنفسه ولأسرته الاستقرار فى « أرض الأحلام » !

وفى الماضى كان نظام حكم فيدل كاسترو يحظر على أى مواطن أن يستقل قاربا ويتجه به إلى الشمال ، وكانت الهجرة إلى الولايات المتحدة تعتبر خيانة وطنية .. ولكن الوضع انقلب فجأة فى صيف عام ١٩٩٤ ، فقد أعلن كاسترو أن أى فرد فى كوبا بلغ عمره ١٨ سنة يستطيع أن يقلع إلى الولايات المتحدة وقتما يشاء دون أى محظورات .. فى حين أعلن الرئيس الأمريكى كلينتون أن الولايات المتحدة قد رجعت عن قرارها السابق الذى ظل مطبقا لمدة ٢٨ سنة .. ومن ثم فهى لم تعد تقبل منح حق اللجوء لأى كوبى يصل إلى شواطئ الولايات المتحدة ، وإنما يتحتم على الكوبيين أن يحصلوا أولا على تأشيرة دخول مثلهم مثل سائر دول العالم الثالث ..

ولكن الكوبيين فى هذه المرة لم يعبأوا بتحذيرات واشنطن وإنما استمعوا إلى كلام كاسترو ..

وقال كاسترو إن أبناء جزيرة كوبا يهاجرون إلى الولايات المتحدة بسبب الحصار الاقتصادى الذى تفرضه الولايات المتحدة عليهم ..

فلو رفعت واشنطن الحصار لتوقف طوفان هجرة الكوبيين إلى الولايات المتحدة . وقالت واشنطن أن الحصار الاقتصادى يستهدف الضغط على كاسترو لكى يغير طبيعة نظامه الشمولى ولكى يجرى انتخابات حرة ..

وتحولت العملية إلى صراع إرادات : إرادة الرئيس الأمريكى ومعه كل امكانيات الولايات المتحدة أمام إرادة ذلك الزعيم الملتحى الذى يضع الآن فى أذنيه سماعات الكترونية بعد أن ضعف سمعه ، والذى أقلع أخيرا عن عادة التدخين ولم يعد يظهر فى الأماكن العامة وفى فمه السيجار الهافانا الذى كان فى الماضى إحدى علاماته المميزة لأن صدره لم يعد يقوى على استنشاق الدخان ..

عمره الآن ٦٧ سنة وستة أشهر فهو من مواليد ١٣ أغسطس ١٩٢٧ .. وهو نفسه يتفاءل بالرقم ١٣ ، لأنه اقترن بزوجته الأولى يوم ١٣ ديسمبر ١٩٤٧ عندما كان طالبا بالجامعة .. وعندما تخرج بادر إلى طلب الطلاق .

فى الماضى كانوا يسمونه « الكوماندة » .. أما الآن فلا أحد

يدرى ما هو الاسم الذى يطلقه عليه أبناء شعبه .. وهو زعيم مخضرم من نوع كيم ايل سونج الذى رحل إلى العالم الآخر منذ عامين .. فقد شهد هو أيضا خلال فترة حكمه تسعة من الرؤساء الأمريكيين وستة من الرؤساء السوفيت ، ورأى العديد من زعماء أمريكا اللاتينية المجاورين له والذين يتكلمون لغته ، يلقون مصرعهم أو يسقطون من السلطة ، وكان أولهم رفيق كفاحه الأرجنتينى الأصل شى جيفارا الذى لقى مصرعه عام ١٩٦٧ ، وسلفادور الليندى الذى اغتيل فى انقلاب عسكرى فاشستى فى شيلى عام ١٩٧٣ ، وموريس بيشوب الذى لقى مصرعه أمام القوات الأمريكية عند غزوها جزيرة جرينادا عام ١٩٨٣ ، وآخرهم دانييل أورتيجا الذى تمكنت قوات الغزو الأمريكية من القبض عليه فى بنما فى بداية عام ١٩٩٠ ، وقدمته للمحاكمة أمام القضاء الأمريكى فى عدة تهم من بينها تزعم عصابة لتهريب المخدرات ..

والمرجح أن كاسترو تأثر أيضا بنبأ القبض على الإرهابى العالمى كارلوس وتسليمه للقضاء الفرنسى .. لأن كارلوس ينتمى هو الآخر لأمريكا اللاتينية .

وبعد أن امتد العمر والبقاء فى السلطة للرئيس الكوبى كل هذه السنين .. فإنه فى الفترة الأخيرة أخذ يستشعر العزلة ، فالحصار الاقتصادى الذى تفرضه عليه جارته الكبرى .. الولايات المتحدة .

منذ بداية فترة حكم الرئيس الراحل جون كيندى .. قد أحدث تأثيره بشكل واضح على أهالى كوبا ، ودفعهم إلى طوفان الهجرة .. كما أن موسكو التى كانت تدعم كوبا بمبلغ مليار دولار سنويا ، قد توقفت منذ سبع سنوات عن تقديم هذا الدعم ، كما توقفت عن شراء المحصول الرئيسى لكوبا – وهو السكر – وكانت من قبل تشتريه بسعر تفضيلى ، أى بأكثر من سعره الحقيقى .

وعلى مدى السنوات الأخيرة راحت الحكومة الكوبية تخفض بنسب متزايدة من استهلاك الطاقة ، ومن الوقود ، بنسب متزايدة من استهلاك الطاقة ، ومن الوقود ، وبدأت تستورد آلاف الدراجات من الصين لكى يستخدمها الأهالى بدلاً من السيارات والموتوسيكلات .. كما شرعت اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الكوبى فى اطفاء الأنوار خلال اجتماعاتها .. بينما لا يزال شعار الحزب هو « الاشتراكية أو الموت » .

وفى شوارع هافانا خفت حركة المرور ، وقل عدد الأتوبيسات بلغارية الصنع والسيارات الروسية من طراز « لادا » .

أما أهالى الجزيرة فإن ٦٥ فى المائة منهم من الشباب الذين ولدوا بعد ثورة كاسترو .. ونسبة الطلاق بين هؤلاء الشباب بلغت ٥٠ فى المائة من الزيجات .

ومجموع التعداد لا يتجاوز ١٢ مليونا ، ثلثاهم من أصل أسبانى والباقى مخلطون .

وفى مثل هذه الأيام منذ ست سنوات ألقى كاسترو خطابا شهيرا فى « ميدان الثورة » بقلب العاصمة هافانا ، قال فيه : « إذا تحلل الاتحاد السوفيتى أو اختفى من الوجود .. فإننا سنواصل بناء الاشتراكية .. أما الرأسمالية فلا يمكن أن تعود إلى كوبا ما دام هناك ثورى واحد .. قاوموا .. قاوموا .. قاوموا .. » .

وقاوموا لمدة أربع سنوات ، ثم انهارت المقاومة ، وبدأت الزوارق تحتشد بالمئات وتتخذ وجهتها إلى قلعة الرأسمالية !

وفى بداية عام ١٩٩٠ قال كاسترو فى خطاب آخر : إن حزبنا سيحكم إلى الأبد . وليس لدينا ولن يكون لدينا أبدا قطاع خاص . كما أنه ليس لدينا ولن يكون لدينا أبدا تعدد حزبى !!

وهو الآن يرى أهله يهربون بالجملة .. ويبصر خزانة بلاده وقد نضبت منها العملة الصعبة والسهلة ، وأسواق العالم شبه مغلقة أمام صادراته وفوق كاهله ديون . والمحلات التجارية تزداد خواء . والطوابير تزداد طولا والمحاصيل تذوى فى الحقول لأنها لا تجد وسيلة نقل إلى الأسواق .

ومع بداية التسعينات .. بدأت على استحياء لقاءات دبلوماسية بين مندوبى كوبا والولايات المتحدة فى الأمم المتحدة . وعندما أعاد « الاتحاد السوفيتى » العلاقات الدبلوماسية مع إسرائيل . كان كاسترو يستقبل مبعوثا إسرائيليا بارزا ، ويبدى له إعجابه بالسيدة جولدا مائير !

ولا تزال بعض دور السينما الكوبية تعرض أفلاما أمريكية ، ولا سيما الأفلام المأخوذة عن روايات الكاتب الأمريكى المعروف إيرنست هيمنجواى . فقد كان هيمنجواى له عشق خاص بهذه الجزيرة ، وقد عاش فيها ٢٢ عاما ، وكتب عنها عدة روايات أبرزها رواية « عبر النهر وبين الأشجار » وكانت المرة الأولى التى ذهب فيها إلى هافانا عام ١٩٢٨ (بعد مولد كاسترو بعام واحد) حيث عمل هناك مراسلا صحفيا ، واشترى منزلا على الشاطئ بالقرب من العاصمة . وفى هذا المنزل استوحى روايته الشهيرة « العجوز والبحر » التى نال عنها جائزة نوبل فى الأدب لعام ١٩٥٤ . كما أنه عقد قرانه على زوجته الأخيرة مارتا جلهورن فى هافانا عام ١٩٤٥ .

وعندما قام كاسترو بثورته واستولى على الحكم فى يناير ١٩٥٩ فإنه أبلغ هيمنجواى بأن ممتلكاته فى الجزيرة لن تصادر مثلما صودرت الممتلكات الأمريكية الأخرى . وفى يوليو ١٩٦١ أقيمت مكتبة فى هافانا تحمل اسم هيمنجواى وتضم تمثالا كبيرا له .

ومن جزيرة كوبا كادت تنطلق شرارة حرب عالمية ثالثة فى عام ١٩٦٢ عندما أدخل إليها السوفيت - فى غفلة من أعين مخابرات الغرب - منصات لإطلاق صواريخ هجومية . وتردد فى ذلك الوقت أن هذه الصواريخ تحمل رؤوسا نووية وأنها موجهة إلى مدن الولايات المتحدة بالدرجة الأولى . وبعد تهديدات متبادلة بين موسكو وواشنطن . أمر الرئيس الأمريكى الراحل جون كينيدى

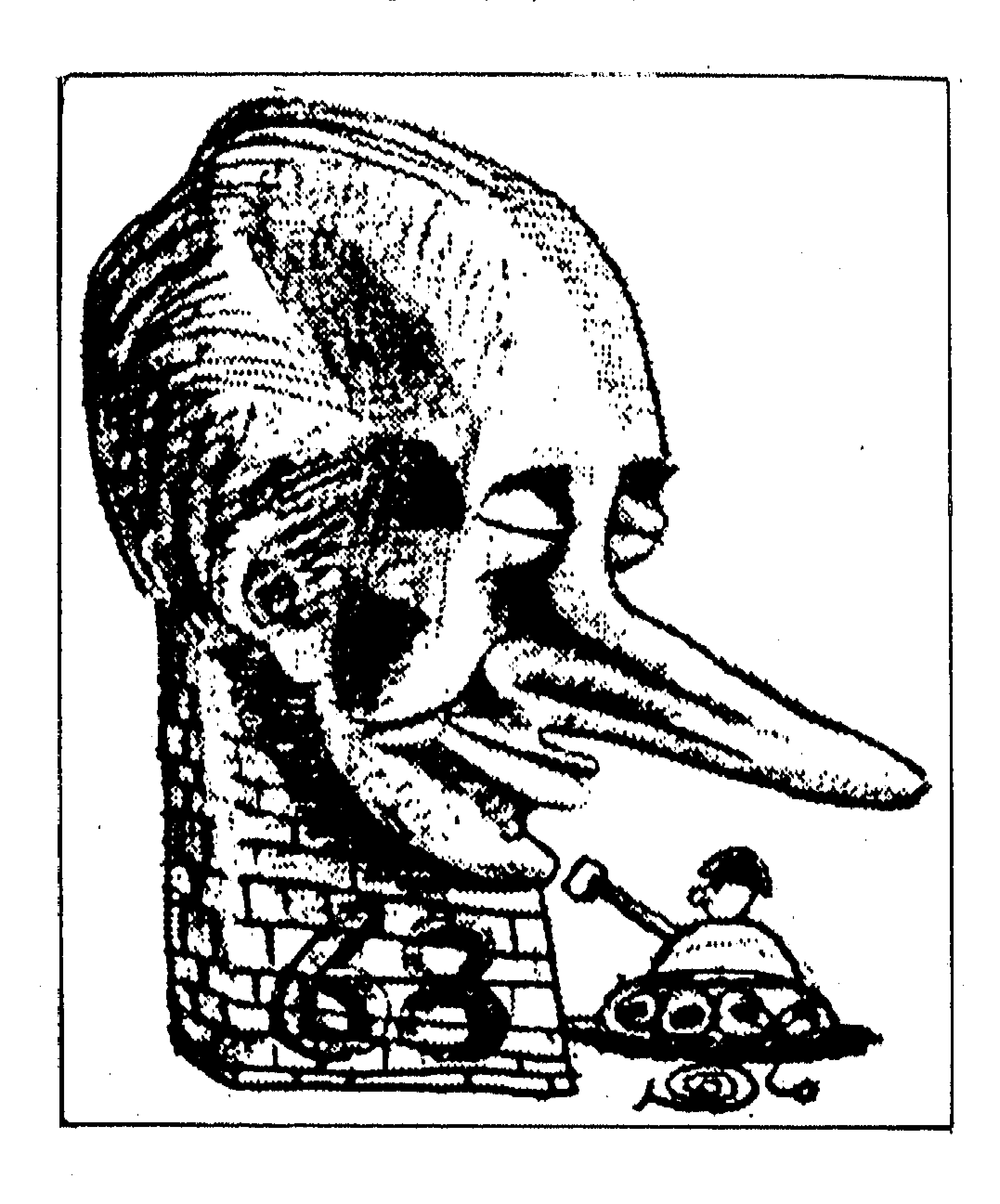
بفرض حصار مسلح حول الجزيرة ، ووافق خروشوف على تفكيك الصواريخ ومنصات إطلاقها وإعادتها إلى « الاتحاد السوفيتى » ومنذ ذلك الوقت بدأ عهد « الوفاق » بين الدولتين العظميين ، حيث وقعتا فى العام التالى معاهدة موسكو لحظر إجراء التجارب النووية ، ثم تلاها العديد من اتفاقات نزع السلاح ..

ومنذ بداية الوفاق أخذت كوبا تفقد دورها السياسى كموقع أمامى للعالم الشيوعى فى أمريكا اللاتينية ، وأصبحت بالنسبة للولايات المتحدة مركزا للتآمر وللمغامرات العسكرية فى القارة الأفريقية ، ولا سيما فى أنجولا ..

وفى الماضى لم يجد الكوبيون كثيرا من المشقة فى شحن قواتهم المسلحة عبر المحيط إلى الشاطئ الأفريقى ولكن الكوبيين يجدون الآن صعوبات جمة فى عبور المضيق الذى يفصل بينهم وبين شاطئ ميامى بولاية فلوريدا .. فلم يعد الزورق هو الوسيلة إلى أرض الأحلام .. وإنما أصبحت قوات حرس الحدود الأمريكى تعترض رحلتهم وتعيدهم إلى الجزيرة لكى تكدسهم بعشرات الآلاف فى القاعدة العسكرية الأمريكية المقامة جنوب غرب الجزيرة وتحمل اسم قاعدة جوانتانامو والتى أصبحت أشبه ما تكون بمعسكر للأسرى ..

الكسندر دوبتشك

الفارس يموت واقفا



لم يشأ له قدره أن يموت ميتة عادية ..

فهو زعيم طبع بلاده بطابعه ، وترك أثرا لا يمكن أن يمحوه الموت !

وهو أحد القلائل الذين سبقوا الزعيم الروسى جورباتشوف فى محاولة الاصلاح الاقتصادى ، وإطلاق العنان للشعب لكى يخرج عن كبته ويرفع عقيرته مطالبا بالحرية .

يقولون عنه فى الغرب إنه الرجل الذى أراد أن يعطى وجها إنسانيا للنظام الاشتراكى فى تشيكوسلوفاكيا ولكنه فشل أمام جحافل الدبابات « السوفيتية » .. فجاءت النتيجة الحتمية بعد ربع قرن من الزمان حيث سقطت الأنظمة الاشتراكية لا فى تشيكوسلوفاكيا فحسب وإنما فى سائر دول أوروبا الشرقية وفى قلب « الاتحاد السوفيتى » الذى تحلل بالتالى إلى ١٥ جمهورية مستقلة !

ومنذ سبع سنوات عاد الكسندر دوبتشك إلى الظهور فى أكبر ميادين مدينة براج بعد أن ظل مختفيا زهاء ٢١ سنة .. عاد للظهور لكى يخطب فى نحو نصف مليون من أبناء الشعب التشيكوسلوفاكى الذين تجمعوا للمطالبة من جديد بالوجه الإنسانى للاشتراكية .. وهو أمر – كما اتضح فيما بعد – صعب التحقيق .

وبينما كانت صيحات الجماهير تدوى فى أرجاء الميدان الكبير وهى تتغنى باسم دوبتشك .. كان هو يقطع صيحاتها الراعدة بكلماته الهادئة : « حكومتنا تقول لنا إن الشارع ليس المكان المناسب لحل المشاكل ، ولكننى أقول إن الشارع هو المكان ، وإن صوت الشارع يجب أن يسمع » .

وتعود الصيحات الراعدة تدوى فى الميدان الفسيح الممتلئ بالبشر والذى يحمل اسم القديس ونسسلاس الذى يرتفع فى وسطه تمثال ذلك القديس الذى أصبح ملكا ثم شهيدا ، وعلما من أعلام نضال التشيك فى مملكة بوهيميا القديمة .

وكان هذا الخطاب وهذا اللقاء العاصف بين الشعب والزعيم الشعبى هو بداية الانتفاضة الجديدة التى أصبحت تعرف الآن باسم « الثورة المخملية » .

جاءت هذه الثورة المخملية بعد أن بلغت حركة « ربيع براج » سن الرشد حيث كانت قد أكملت ٢١ عاما بالتمام .

وكانت هذه الحركة الاصلاحية قد بدأت فى يناير ١٩٦٨ واكتملت فى ربيع نفس العام ، ولكن لم يقيض لها الاستمرار وإنما مرت مثل نسمة رقيقة هدهدت البلاد خلال أشهر الربيع قبل أن تأتى جحافل جيوش حلف وارسو فى الصيف لكى تبدد ملامحها الإنسانية وتدوس شعاراتها تحت جنازير الدبابات .

ففى منتصف ربيع ١٩٦٨ وعلى وجه التحديد يوم ٩ أبريل أصدر دوبتشك وثيقة من ٥١ صفحة أطلق عليها اسم « برنامج العمل » وتضمنت القواعد الأساسية للحريات العامة والانتخابات المحايدة والمفتوحة أمام كل المرشحين بلا تفرقة بين شيوعى وغير شيوعى فضلا عن الاصلاح الاقتصادى من خلال التخفف من التخطيط المركزى وربط الأجر بالإنتاج ..

كان عمره فى ذلك الوقت ٤٧ عاما .. ولقيت دعوته هذه تجاوبا بين الجماهير على اختلاف فئاتها وطوائفها .. وفى خلال أسابيع أصبح دوبتشك بطلا وطنيا من نوع فريد ، وأمام شعبيته الكاسحة اضطر أنطونين نوفوتنى – الذى كان معروفا بميوله الستالينية – إلى التخلى عن زعامة الحزب الشيوعى التشيكوسلوفاكى ثم إلى الاستقالة من رئاسة الجمهورية (حيث كان يجمع بين المنصبين) وحل محله دوبتشك فى زعامة الحزب ولودفيج سفوبودا فى رئاسة الدولة وتألفت حكومة جديدة كانت سياستها المعلنة هى إعادة الديمقراطية والتعددية الحزبية .

إلا أن الأنظمة المتشددة فى موسكو وجميع عواصم الكتلة الشرقية فى ذلك الوقت لم يعجبها هذا الاتجاه وخشيت من أن تنتقل عدواه إليها وراحت تبدى مخاوفها من هذه النزعة الليبرالية وبدأت تطالب حكومة براج الجديدة بالتراجع عن حركة « ربيع براج » وبالانتكاس إلى الاتجاه المتصلب ..

ولم تجد المطالبة .. ولا براج أذعنت للتهديد وعندئذ حزمت

أنظمة أوروبا الشرقية أمرها وحشدت جيوشها ثم لم تلبث أن أطبقت على الأرض التشيكوسلوفاكية من كل حدب وصوب لكى تقمع بالمصفحات والدبابات ما عجزت عن مواجهته بالرأى والحجة والاقناع .

وأصبح أبناء تشيكوسلوفاكيا ذات يوم قائظ من أيام أغسطس ١٩٦٨ فإذا بأراضيهم تجتاحها خمسة جيوش قادمة من خمس دول متاخمة لها من خمس جهات وإذا بزهور الحرية وبراعمها تداس تحت أقدام الغزاة الغاشمين .

وبعد القمع العسكرى وبعد أن تبددت نسمات ربيع براج أمام دخان المعارك غير المتكافئة فرضت الرقابة الصارمة على الصحف وأخرجت كل العناصر الليبرالية من السلطة وجرت حركة تطهير واسعة النطاق بدأت أول ما بدأت بدوبتشك ذاته ..

ويأخذونه عنوة إلى موسكو كأنه أسير حرب ويضعونه ضمن الوفد المكلف بالتفاوض مع الكرملين بشأن إنهاء الاصلاحات السياسية الاقتصادية التى انطوى عليها ربيع براج ..

وبعد سنوات أخرى ينفونه إلى أنقرة بدعوى تعيينه سفيرا لبلاده فى تركيا .. ثم يعفونه من كل مناصبه الرسمية فى عام ١٩٧٠ ويصبح مجرد موظف فى هيئة المحافظة على الغابات .. ثم فى عام ١٩٨١ يحيلونه إلى المعاش لبلوغه سن الستين !

ولكن لا تكاد تمضى ثمانية أعوام حتى يظهر من جديد فى أكبر وأشهر ميادين براج لكى يبدأ من هناك الثورة المخملية .

وفى النهاية يختاره الشعب رئيسا للبرلمان ، أما زميله فى النضال الكاتب المسرحى فاتسلاف هافيل فيقع عليه الاختيار رئيسا للدولة .

وينتهى الأمر فى صيف عام ١٩٩٢ إلى الاتفاق على تقسيم تشيكوسلوفاكيا إلى دولتين منفصلتين على أساس أنها دولة ذات قوميتين هما التشكيك والسلوفاك .. ومن حيث أن دوبتشك نفسه سلوفاكى فإنه أصبح أقوى المرشحين لتولى رئاسة دولة سلوفاكيا الجديدة التى كان من المقرر أن يعلن قيامها يوم أول يناير ١٩٩٣ .

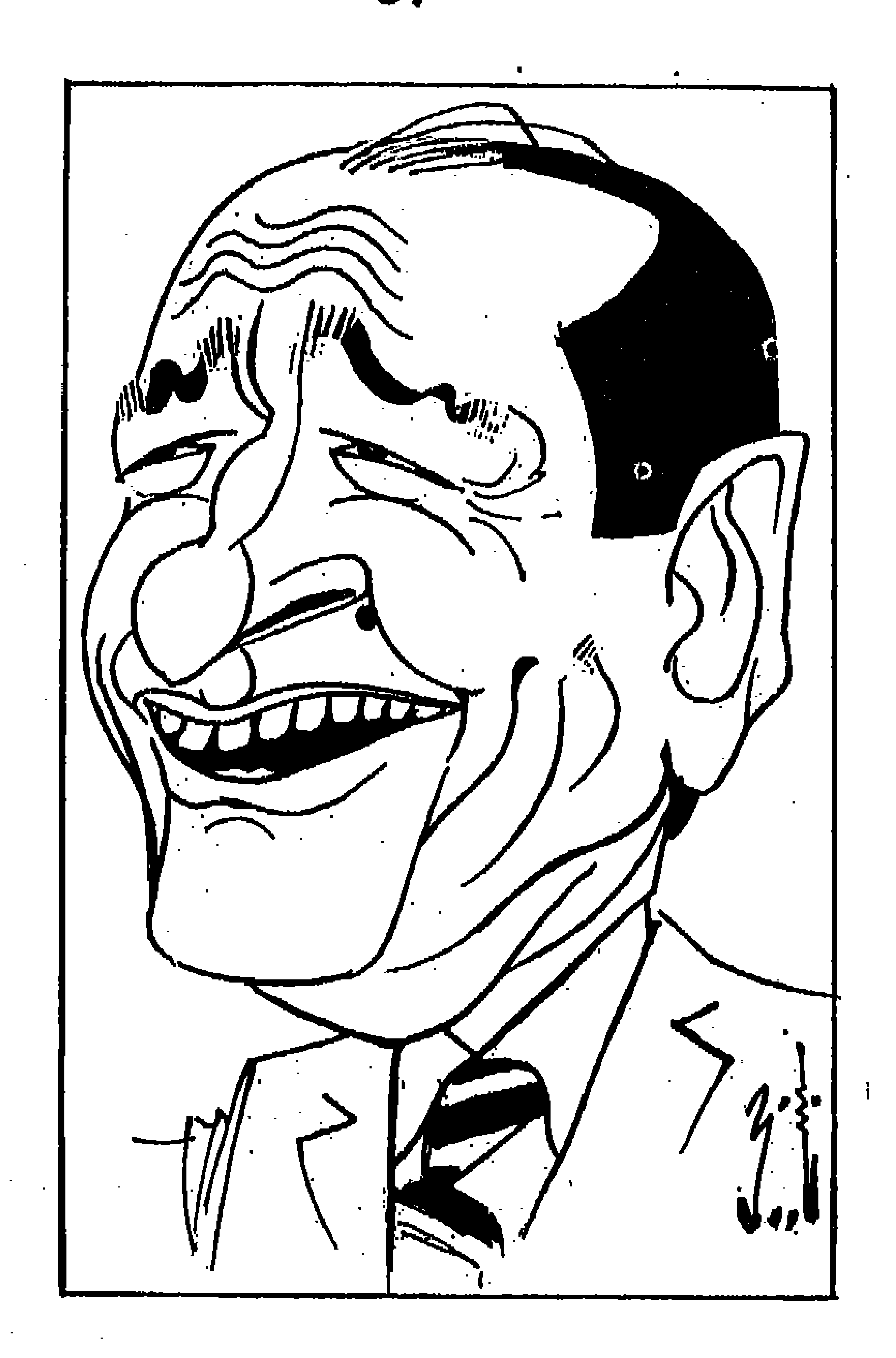
وقبل هذا الموعد بأربعة أشهر فقط وفى يوم أول سبتمبر يقع حادث سيارة يصاب فيه دوبتشك إصابة بالغة ويدخل المستشفى لكى يلفظ أنفاسه الأخيرة فى نوفمبر ١٩٩٢ .

هل كانت محض صدفة ؟ .. أم أنه أراد أن يموت واقفا مثل الفارس فى الميدان ؟ ..

ومن عجب أن يجىء موته فى نفس الشهر الذى ولد فيه منذ ٧١ سنة أما زوجته آنا أوندريسوفا التى اقترن بها عام ١٩٤٥ فقد سبقته إلى لقاء بارئها قبله بعامين .. بعد أن أنجبت له ثلاثة أبناء ..

جاك شيراك

المستعجل



عناده السياسى فاق فيه جميع ساسة فرنسا ، ولكنه – مثل كل الفرنسيين – يحب الطعام الجيد والشراب الجيد والصحبة الجميلة ..

فهو مقبل على الحياة عاشق لها ، أمضى ١٤ عاما من عمره لعاصمة بلاده ، كما أنه ظل زعيما للحزب الديجولى لمدة ١٦ سنة .. وفى الخريف الماضى دعا أعضاء حزبه إلى اجتماع طارئ لكى يحصل منهم على تفويض لهم بأن يكون مرشح الحزب الوحيد للرئاسة ، واجتمع أعضاء الحزب الذين اقترب عددهم من الألف ، ولكنهم لم يعطوه التفويض الذى طلبه ، فلم يوافقوا على اختياره مرشحا أوحد ، وإنما وجهوا له الشكر على زعامته لحزبهم ، تلك الزعامة التى بدأت عام ١٩٧٨ ، وبعد أن شكروه .. استجابوا لرغبته فى ترك زعامة الحزب لكى يتفرغ لمعركة الرئاسة ..

وهكذا أصبح أول مرشح « جاد » للرئاسة ، قبل أكثر من خمسة أشهر من موعد إجراء الانتخابات .. وقبله تقدم خمسة مرشحين غير جادين ، ولا أمل لهم فى النجاح ، بينهم زعيم الحزب الشيوعى وبعده جاء بلادور ، رئيس الوزراء ، فأعلن ترشيحه ، وبذلك أصبحت المعركة محصورة بين اثنين يجمع بينهما تيار واحد هو تيار اليمين ، وينتميان إلى حزب واحد هو الحزب الديجولى . وكان لابد من دخول مرشح يسارى . وفى البداية تردد اسم جاك ديلور الاشتراكى الذى

شغل منصب رئيس المفوضية الأوروبية حتى يناير الماضى ، ولكن ديلور اعتذر عن عدم الترشيح ، فتقدم اشتراكى آخر هو ليونيل جوسبان .

وجاءت الاستطلاعات الأولى للرأى العام تشير إلى أن جاك شيراك يأتى فى المرتبة الثالثة بعد بلادور وجوسبان .. إلا أن شيراك استخف بهذه الاستطلاعات ، وقال فى ذلك الوقت : « إن كل معارك الرئاسة الأخيرة أظهرت أن المرشح الذى يأتى فى المقدمة قبل ستة شهور من موعد الانتخابات هو الذى يخسر فى النهاية » .. وصدقت نبوءته ، فإن بلادور الذى كان الأول فى بداية السباق أصبح الأخير فى نهاية السباق .

وعندما أراد شيراك أن يعلن ترشيح نفسه .. فإنه لم يشأ أن يصدر هذا الإعلان من العاصمة التى يتولى عموديتها ، وإنما اختار مدينة صغيرة فى الشمال هى مدينة « ليل » وذلك لحكمة ارتآها فى ذلك الوقت . فهذه المدينة هى مسقط رأس شارل ديجول رئيس فرنسا الراحل وبطل تحريرها فى الحرب العالمية الثانية ، فكأنما أراد أن يقول للناخبين أنه هو خليفة ديجول نصا وروحا ، فهو ليس فقط زعيم الحزب الديجولى ، وإنما هو يتحدث من قلعة ديجول !

وقبل ذلك كان هناك اتفاق ضمنى بين أقطاب الحزب الديجولى على اجراء تصفيات بين راغبى الترشيح للرئاسة ، بحيث يجرى اختيار مرشح الحزب من خلال عملية اقتراع حزبية يشترك فيها

جميع الأعضاء .. ولكن شيراك تعجل الأمور ، وبادر إلى إطلاق قذيفة بدء السباق قبل أى إجراء حزبى ، ودون أن يأخذ رأى القاعدة الشعبية للحزب .

كذلك فإنه لم يشأ أن يعلن نبأ دخوله إلى الحلبة فى مؤتمر عام أو حتى فى تصريح لإحدى الصحف القومية الكبرى ، وإنما اختار صحيفة إقليمية صغيرة اسمها « صوت الشمال » تصدر فى ليل ، لكى يدلى لمندوبها بالنبأ القنبلة الذى أحدث دويا هائلا فى العاصمة باريس ، وأيضا فى شتى عواصم الدول الأخرى .

وتردد همهمات كثيرة .. ففى باريس قالوا : «إن هذه هى الانتخابات التى لا يستطيع شيراك أن يخسرها» .. وعندما بدأت الاستطلاعات تشير إلى تحسين موقفه قالوا : « لن يقدر شيراك على انتزاع الهزيمة من بين أنياب الانتصار المقدر له .. إن قصر الاليزيه أصبح على مرمى حجر من مقر العمودية .. ولحظة الصعود قد حانت » !

وعندما أظهرت الجولة الأولى لانتخابات الرئاسة أن المرشح الاشتراكى تفوق على شيراك كتبت صحيفة «ليبراسيون» . التى تمثل يسار الوسط – عنوانا مثيرا باللون الأحمر : « شيراك .. ريك راك » .

وخلال معركة الرئاسة اتخذ من ابنته كلود مستشارة له .. وأشارت عليه بأن يقطع البلاد طولا وعرضا ، وأن يتجول فى مختلف المدن والقرى ، وبالفعل قطع أكثر من ٢٥ ألف كيلومتر وصافح ملايين الأيدى .

أما زوجته برناديت فقالت : يبدو أن الشعب الفرنسى لا يحب زوجى .. فقد خذله مرتين من قبل !

فهو سبق أن رشح نفسه لرئاسة عام ١٩٨١ وسقط ثم عام ١٩٨٨ وسقط حتى قيل إنه لا يجيد شيئا سوى الترشيح للرئاسة ، وفى المرتين جاءت هزيمته أمام الرئيس (الاشتراكى) فرانسوا ميتران ، الذى تنتهى فترة رئاسته الثانية والأخيرة بعد ثمانية أيام .

لذلك رأى شيراك أن يبدأ المعركة هذه المرة مبكرا جدا وعينه على ميتران المريض بالسرطان ، الذى قد تستوجب حالته الصحية التبكير بإجراء انتخابات الرئاسة قبل الموعد المقرر لها .. ولكن ميتران أكد أنه سيظل يمارس مهامه فى قصر الاليزية حتى آخر يوم فى رئاسته ، ولم يقل « آخر يوم فى حياته » ..

وفى معركة الرئاسة الأخيرة كان شيراك يبدو أنضج وأهدأ ، وأقل كلاما أما مهاتراته وشتائمه فقد نزلت إلى الحد الأدنى .

واتخذ من شجرة التفاح رمزا له ، وأصبح شعاره « فرنسا للجميع بلا تمييز ولا تفرقة » ، واستطاع أن يحتفظ بمؤيديه التقليديين من المزارعين وصغار رجال الأعمال والطبقة المتوسطة ، وأضاف إليهم ثلث أصوات الشباب وربع أصوات العمال بعد أن أعلن برنامجه فى محاربة الفقر ومعالجة مشكلة البطالة .

أما دعوته إلى إقامة « أوروبا شعبية » بدلا من « الاتحاد الأوروبى

الذى يدير شئونه التكنوقراط القابعون فى بروكسل » فقد أفقدته الكثير من أصوات اليمين التى « طفشت » إلى المرشح العنصرى المتطرف جان مارى لوبان .. ومن أقواله المأثورة التى رددها خلال حملته الانتخابية : « إن المغالاة فى فرض الضرائب من شأنها أن تقتل النظام الضريبى » .

وخلال المعركة قال خصومه أنه دائما مستعجل .. فقد تعجل فى إعلان ترشيح نفسه قبل الموعد بحوالى ستة أشهر ، وقبلها تعجل فى الترشيح مرتين .

وقالوا أيضا أن الاستعجال يجعله يتعثر ويسقط ثم يقوم دون أن يدرك أسباب تعثره .. وهو عندما سئل عن سبب التعجيل فى ترشيح نفسه قال : أن تأخير إعلان المرشحين لنواياهم هو نوع من النفاق الذى يبعث فى البلاد « جوا غير صحى » .

وهو يهوى المسلسلات البوليسية المتلاحقة الأحداث ، ولا يحب الموسيقى الكلاسيكية ولا الأوبرا لأن ايقاعها بطئ ..

لذلك فإنه عندما أعلن التليفزيون الفرنسى أنه سيجرى مناظرة بينه وبين منافسه الاشتراكى .. ترقب المشاهدون موعدها بصبر نافذ ، وفى يوم إجرائها تجمع أكثر من ٣٠ مليون فرنسى أمام الشاشات الصغيرة ، إلا أنهم سرعان ما أصيبوا بخيبة أمل لأن المناظرة جاءت فاترة ومملة فى بعض حواراتها ، فلم تكن فيها اتهامات ولا مهاترات ،

وبدا فيها شيراك هادئا أكثر من المعتاد ، فلم تكد تمضى نصف ساعة حتى تحول المشاهدون إلى البحث من قنوات أخرى .. فى حين استمرت المناظرة ساعتين وعشر دقائق بلا مشاهدين تقريبا !

وقبل هذه المناظرة الفاترة أقام رجل عاطل دعوة قضائية ضد شيراك يتهمه فيها باستغلال النفوذ كعمدة لباريس ، حيث استأجر شقة فاخرة على نهر السين ولم يكن يدفع إلا ثلث قيمتها الايجارية .. ومثل هذا الاتهام لم يجئ ذكره فى المناظرة ، لشدة أسف المشاهدين !

ومنذ أن أسس ديجول الجمهورية الفرنسية الخامسة عام ١٩٥٩ ظل مرشحو الرئاسة يلجأون إلى التليفزيون كوسيلة دعاية .. وقد حدث فى انتخابات الرئاسة التى أجريت عام ١٩٧٤ أن اعترض شيراك على المرشح الديجولى ميشيل ديلماس الذى كان أحد أبطال المقاومة الشعبية ضد الاحتلال النازى ، وبسبب هذا الاعتراض سقط ديلماس وفاز المرشح المناوئ للديجولية وهو فاليرى جيسكار ديستان ، الذى كافأ شيراك بتعيينه رئيسا للوزارة .

وبعد سنتين اختلف معه فاستقال من رئاسة الوزراء ، ورشح نفسه لمنصب عمدة باريس وتحدى ديستان ان يترك الرئاسة وينافسه على العمودية ! .. وعندما فاز شيراك أصبح أول عمدة منتخب للعاصمة الفرنسية بعد مائة سنة من الغاء هذا المنصب أى منذ الثورة العمالية لعام ١٨٧١ التى عرفت باسم « كميونة باريس » .

والحزب الديجولى الذى يتزعمه شيراك اسمه « التجمع من أجل

الجمهورية » وهو الذى أسسه عام ١٩٧٨ ليكون ترديدا لصيحة ديجول المشهورة بعد تحرير فرنسا : « التجمع من أجل الوطن » .

وكان شيراك فى بداية حياته السياسية قد استسلم للنزعة اليسارية التى كانت « موضة » فرنسية فى نهاية الأربعينات ، ثم حدث أن حصل على منحة فى جامعة هارفارد الأمريكية ، وعندئذ فوجئ بصعوبة كبيرة في الحصول على تأشيرة دخول للولايات المتحدة لأن السلطات الأمريكية إعتبرته « شيوعيا » .. وكان ذلك فى أوج هستيريا « المكارثية » التى كانت تفزع من كل ما هو يسارى ولا تعى الفرق بين الاشتراكية الديمقراطية والاشتراكية « العلمية » .

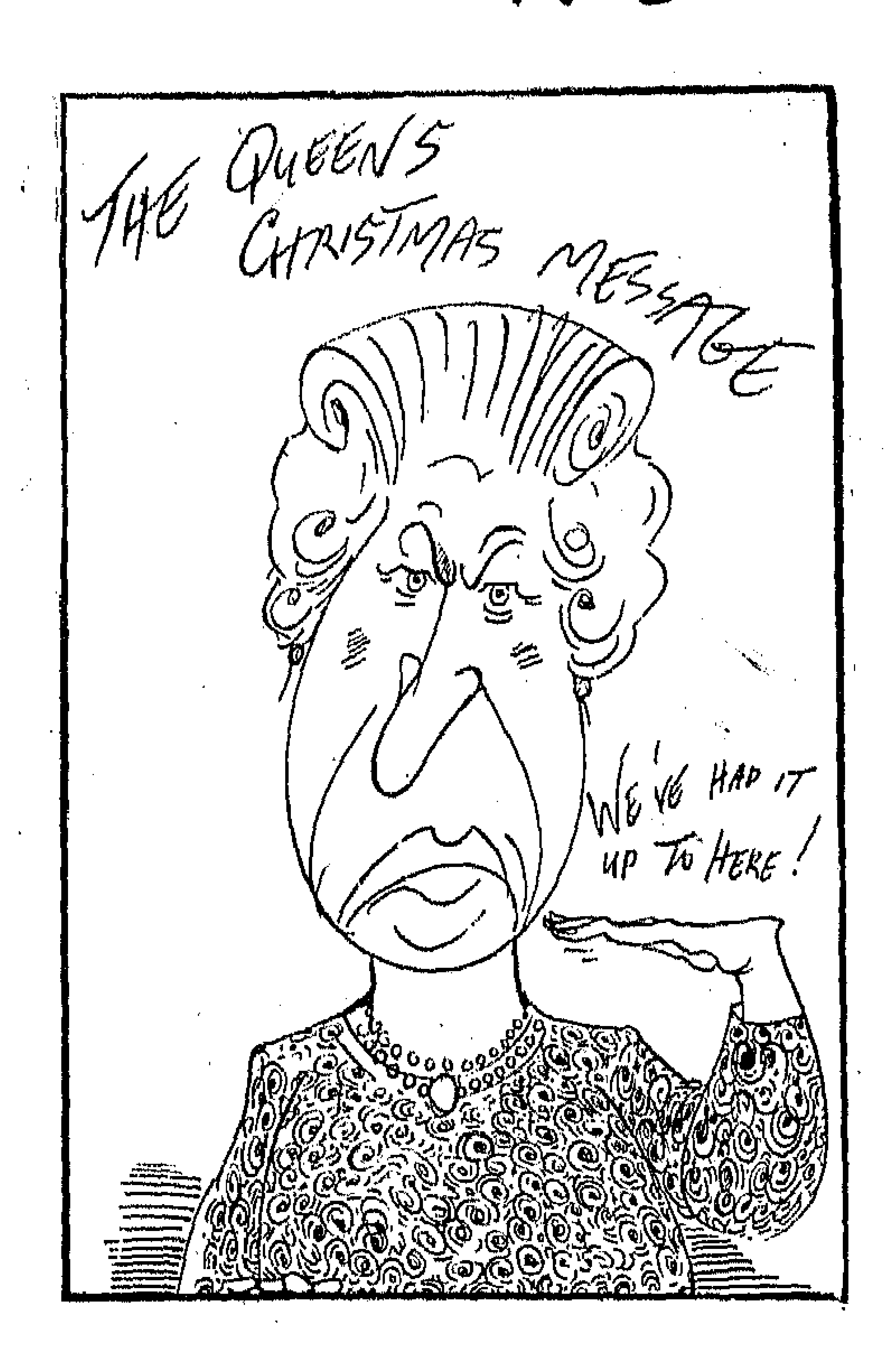
وفى هارفارد بهرته الحياة الجديدة وتعرف على زميلة أمريكية وأحبها ، وخطبها ، وقرر أن يحصل على الجنسية الأمريكية ويعيش بقية حياته فى مدينة بوسطن ، إلا أن خطيبته لم تلبث أن غضبت عليه ، وفسخت الخطبة ، فلم يجد بدا من العودة إلى الوطن .

وفى الستينات رشح نفسه للبرلمان وأصبح نائبا قبل أن يتم ٣٥ سنة ، وعندما بلغ عمره ٤٠ سنة أصبح وزيرا ثم رئيسا للوزراء بعد سبع سنوات .

.. وعاد إلى رئاسة الوزارة عام ١٩٨٦ فى ظل رئاسة ميتران ، ثم اختلف معه ، وترك الحكومة ورجع إلى عمودية باريس التى اعتبرها قاعدة للانطلاق إلى الرئاسة الأولى .

الملكة اليزابث . .

فى مهب العاصفة



فى شهر فبراير الحالى تحتفل الملكة اليزابيث الثانية ملكة بريطانيا بعيد جلوسها الثالث والأربعين . وبعد شهرين تحتفل بعيد ميلادها التاسع والستين .. وبعد سبعة أشهر أخرى يكمل ابنها وولى عهدها الأمير تشارلز عامه الـ ٤٧ .

ولا يبدو أن هناك انتقالا وشيكا للعرش من الأم إلى الابن ، ولكن الذى يتردد الآن هو الخوف على مصير الأسرة المالكة بأسرها .

فى هذه الأيام تبرز الصحف البريطانية — مرة أخرى — الكلمة التى قيل أنها صدرت عن ملك مصر السابق فاروق ، والتى تنبأ فيها بأنه قبل أن ينتهى القرن الحالى .. لن يبقى فى العالم سوى خمسة ملوك هم ملوك الكوتشينة الأربعة وملك بريطانيا وتضيف الصحف أن فاروقا لم يكن يقصد أن ملكة بريطانيا ستصبح هى « الجوكر » !

ولقد شهد القرن العشرون بالفعل سقوط الكثير من الأسر الحاكمة .. فى حين أن الأسرة المالكة البريطانية بدت وكأنها تزداد قوة ورسوخا وشعبية ! ومنذ أكثر من مائة عام وفى أوج فترة حكم الملكة فكتوريا ظهرت شكوك حول امكانية استمرار الأسرة المالكة .. وتجددت هذه الشكوك خلال سنوات الحرب العالمية الأولى حيث أخذ الحديث يدور همسا حول الجذور الألمانية للأسرة

المالكة البريطانية بينما بريطانيا غارقة لأذنيها فى حرب ضد ألمانيا وقبل انتهاء الحرب تقرر تغيير اسم الأسرة رسميا من « آل ساكس كوبورج جوتا » إلى آل وندسور وتحول الحديث الهامس إلى كلام صاخب بعد أن اختار الملك إدوارد الثامن فى عام ١٩٣٦ — أن يتنازل عن العرش فى سبيل الزواج بامرأة أجنبية ومن عامة شعب الولايات المتحدة وسبق لها الزواج والطلاق مرتين وهذا الملك الذى حمل لقب دوق وندسور بعد تنازله عن العرش هو عم الملكة اليزابث .

إلا أن مثل هذه الشكوك لم تعد للظهور منذ أن جلست الملكة اليزابث على عرش آل وندسور فى ٦ فبراير ١٩٥٧ ومع ذلك فإن فترة حكم الملكة اليزابث واجهت الكثير من العواصف ، وكانت أولى هذه العواصف تتمثل فى دخول كاميرات التليفزيون البريطانى إلى داخل القصور الملكية لكى تعرض على الشاشة الصغيرة حفلات الزفاف الملكى وحفل تنصيب الأمير تشارلز وليا للعهد ومن ثم فقد زال جو الغموض الذى يكتنف الجماهير فى نظرتها إلى الأسرة المالكة .. وزال معه جو الرهبة الذى كان يميز الأسرة ورفعها إلى مرتبة خاصة من التبجيل ، وهو أمر مطلوب لأية أسرة مالكة فى العالم .

وفى عام ١٩٦٩ استطاع السكرتير الصحفى للملكة أن يقنعها بالسماح للتليفزيون بأن يلتقط فيلما كاملا للحياة اليومية للأسرة المالكة على الطبيعة بكل ما تنطوى عليه من علاقات إنسانية ..

وعندما عرض هذا الفيلم فى نفس العام .. أصيب الرأى العام البريطانى بما يشبه الصدمة ..

وتمزق نهائيا كل ما بقى من ستار الغموض الذى كان يغلف الأسرة المالكة فى عام ١٩٨١ خلال زفاف الأمير تشارلز (أمير ويلز) على ليدى ديانا سبنسر .. منذ ذلك الوقت أصبحت المناسبات الاجتماعية للأسرة نوعا من الفرجة الممتعة للشعب .. وتحول أعضاء الأسرة إلى الأدلاء بأحاديث صريحة إلى أجهزة الإعلام المختلفة ، يتناولون فيها أدق أسرار حياتهم الخاصة .. بل وصل الأمر إلى حد أن بعض أعضاء الأسرة كانوا هم الذين يتصلون بالتليفزيون ويعرضون عليه أفكار برامج جديدة لتصويرها داخل القصور الملكية .. وكان الفنيون فى التليفزيون كثيراً ما يرفضون هذه الأفكار !

وفى دهاليز الصحف البريطانية يقولون إن الملكة ليس لها سيطرة على أفراد الأسرة ، وإن كل فرد منهم يتصرف مستقلا عن الباقين بل أن الرابطة بينهم تكاد تكون مقطوعة ..

وأول درس يتعلمه موظفو القصر الملكى هو أن « أبناء الملكة لا يخطئون » .. وكثيرا ما يبدى مستشارو الملكة رأيا حول تصرف هؤلاء الأبناء ، فإذا لم يرق هذا الرأى للأبناء .. فإن الملكة لا تستمع له وإنما تنحاز تلقائيا لجانب أبنائها ويقول صديق قديم

للأسرة : فى الماضى لم تكن للملكة أى سيطرة على شقيقتها الأميرة مارجريت ، عندما دخلت هذه الأميرة فى مغامرات عاطفية كانت حديث المجتمع البريطانى ، وانتهى بها الأمر إلى الطلاق .. والآن أيضا لا يبدو أن الملكة لها سيطرة على ابنتها الأميرة أن .. التى دخلت هى الأخرى فى مغامرات عاطفية أدت إلى انفصالها عن زوجها ، وأصبح طلاقها منه وشيكا كذلك فإن اثنين من أبناء الملكة أصبحا منفصلين عن زوجتيهما .. وكل فرد من أفراد الأسرة يعيش الحياة التى تحلو له ، ولا تريد الملكة أن تفرض سلطتها – كأم – على أولادها – الأمر الذى يثير قلق مجلس البلاط – وفى نفس الوقت يفتح شهية صحف الإثارة .

بل أن بعض هذه الصحف تقول إن الملكة نفسها تعيش مع زوجها بلا حب ، وإنما هى مجرد علاقة اجتماعية تحافظ عليها على مضض .

وأنصار الملكية التقليديون هم حزب المحافظين والطبقة الأرستقراطية . وفى الفترة الأخيرة نشط الجناح الليبرالى فى حزب المحافظين حيث يرى هذا الجناح أن استمرار حكومة المحافظين فى تقليص دور « الدولة » وتحويل المشروعات الكبرى إلى القطاع الخاص سيؤدى فى النهاية إلى أن ترفع الدولة يدها عن القصور الملكية وتصبح الأسرة المالكة قطاعا خاصا ..

بل أن بعض الساسة أصبحوا الآن يشككون فى « شرعية »

النظام الملكى حيث يقول البروفسور ستيفان هازيلر - قطب الحزب الاشتراكى الديمقراطى - لماذا تكون رئاسة الدولة منصبا وراثيا ؟ إن هذا يحرم أى مواطن بريطانى من فرصة الوصول إلى هذا المنصب . لماذا لا نكون مثل الولايات المتحدة حيث كل طفل يولد .. يحلم والداه بأنه يوما ما قد يصبح رئيسا للجمهورية .

أما الطبقة الأرستقراطية التى ترى فى استمرار الملكية دعامة للاستقرار وسط عالم يموج بالقلاقل فإنها طبقة آخذة الآن فى الاندثار ..

وتقول صحف لندن : عندما يصبح بقاء الملكية مرتبطا بالمحافظة على حركة السياح الأجانب الذين يجيئون لكى يتفرجوا على المناسبات التى تشارك فيها الملكة .. ولكى يتجولوا داخل القصر الملكى فمعنى ذلك أن الملكية البريطانية تعيش الآن فى الوقت الضائع والجدير بالذكر بالذكر أن النظام الملكى فى بريطانيا عمره الآن ١١٠٠ سنة .

وفى المناسبات الملكية تدعو الملكة اليزابث أنماطا من المجتمع البريطانى .. وجرت العادة ألا يظهر بينهم أى ضيف أسود أو ملون . ووسط خدم وموظفى القصور الملكية لا يمكن أن تلمح وجها أسود أو ملونا .. رغم أن هذه الاجناس غير البيضاء تشكل حوالى ٣٠ فى المائة من موظفى وخدم فنادق لندن .

وحدث مرة أن سئلت فى ذلك متحدثة باسم قصر باكنجهام فقالت عندنا فى القصر فتاة من جزر الكاريبى تتولى تقديم القهوة لخدم القصر البيض !

هذا الاتجاه إلى نبذ الملونين هو ما يحاول الآن الأمير تشارلز أن يغيره ، فهو قد رفع شعار « حق المواطنة للجميع بلا تفرقة » وهو يرى أنه عندما يصبح ملكا فسيكون اهتمامه بالتغيير ولو على حساب الاستقرار وبالتجربة والخطأ بدلا من الاستمرارية على النمط السابق وبالركون إلى المغامرة مهما كانت تعنى عدم الأمان ، وباللجوء إلى البدعة كبديل للسير على العادة المعتادة .

ويقول كتاب صدر منذ خمس سنوات فى لندن أن ولى العهد يريد أن يدخل بريسترويكا من نوع آخر إلى الأسرة المالكة وأنه سوف يدرك – متأخرا – مثلما أدرك جورباتشوف أن البريسترويكا لها ثمن فادح . وأنه بمجرد أن يفتح الباب أمام رياح التغيير فإنه سيصبح عاجزا عن اغلاقه عندما تتحول الرياح إلى أعاصير .. وقد لا يقف الأمر عند حد العصف بالملك المرتقب وإنما قد يصبح النظام الملكى كله فى مهب الريح ، وقد يصبح الأمير تشارلز هو آخر ملوك المملكة المتحدة لبريطانيا العظمى وشمال أيرلندا .

وقد لا يصبح الأمير تشارلز ملكا إلا بعد أن يتجاوز الستين مثلما حدث مع الملكة فكتوريا التى ظلت تتمسك بالبقاء على العرش حتى آخر يوم فى حياتها التى امتدت إلى ٨٢ سنة ، وعندما وافتها المنية فى مطلع هذا القرن كان ابنها الأكبر وولى عهدها إدوارد السابع قد بلغ ٦١ سنة ولم يهنأ بالجلوس على العرش أكثر من تسع سنوات .

والملكة اليزابيث هى أغنى امرأة فى العالم .. كما أنها تأتى فى مقدمة أغنى أغنياء بريطانيا من الرجال والنساء على السواء وآخر التقديرات تشير إلى أن ثروتها تتجاوز خمسة آلاف مليون جنيه استرلينى .

وعندما طالب الشعب أخيرا بأن تؤدى الملكة ضرائب إيراداتها قالت ما معناه : منين ؟

وهى تمتلك ثلاثمائة قبعة مختلفة الأشكال والألوان وتسعى إلى اقتناء المزيد من القبعات وتشكو من أن مصممى الأزياء لم يبتكروا موديلات القبعات بما فيه الكفاية !

وفى نوفمبر ١٩٩٢ شب حريق كبير فى قصر وندسور بغرب لندن استمر ثمانى ساعات وأتى على العديد من اللوحات الأثرية والتحف والطنافس التى لا تقدر بثمن أما تكاليف ترميم القصر فقد قدرت بنحو ٤٠ مليون جنيه استرلينى .. وبدأ أصحاب النوايا الطيبة الترويج لحملة من أجل جمع التبرعات لتمويل هذا الترميم .. ولكن مجموع التبرعات التى حصلت فى ستة أشهر لم تتجاوز ٢٥ ألف جنيه !

وأسقط فى يد الملكة « فقررت أن تفتح أبواب قصر باكنجهام للسياح كوسيلة لجمع مبلغ الأربعين مليون جنيه لترميم قصر وندسور وإعادته إلى سيرته الأولى .

ديانا سبنسر

الأميرة الشاردة



وقع المحظور ، وأعلن انفصال أمير ويلز عن أميرة ويلز .. بلا طلاق . وإن كان المرجح أن تتم خلال الشهور القادمة اجراءات الطلاق لاسيما بعد الحديث التليفزيونى الذى أذاعته يوم ٢٠ نوفمبر الماضى وكشفت فيه كل أسرار علاقاتها بالأسرة المالكة .

والأمر الذى يهم الأسرة المالكة البريطانية الآن هو كيفية اتمام زواج الأمير من امرأة أخرى بعد طلاقه من ديانا سبنسر ؟

نظرا لأن قانون الكنيسة يقضى بأن عضو الأسرة المالكة المطلق لا يحق له الزواج مرة ثانية ..

هل تستطيع الملكة اليزابيث الثانية أن توعز إلى البرلمان بأن يعدل القانون بالشكل الذى يسمح لابنها وولى عهدها بأن يقترن بزوجة أخرى ، تصبح هى الملكة الجديدة عندما يمسى الأمير ملكا على المملكة المتحدة لبريطانيا العظمى وشمال أيرلندا ؟

وهل يمكن للملكة اليزابيث أن تتنازل عن العرش - فى موعد مناسب - لولى عهدها ، مطمئنة إلى أنه قد نضج لتولى الملك وأصبح فى كنف زوجة جديدة « عاقلة » من وجهة نظر الأسرة المالكة ؟

فالنظرة الآن إلى ديانا - مثلما كانت النظرة قبلها إلى سارة

فيرجسون – هى أنها فتاة غير سوية وغير جديرة بأن تصبح ملكة وزوجة لملك ! .. هل كانت ديانا غير سوية وغير جديرة بالدخول إلى كنف الأسرة المالكة البريطانية ذات التقاليد العريقة ؟

فى يوم ٢٤ فبراير ١٩٨١ قبل شهور قليلة من زفافها إلى الأمير تشارلز .. قالت فى حديث تليفزيونى : « هذا هو ما أريده .. فبوجود تشارلز إلى جانبى لا يمكن أن أخطئ » ..

وحصلت بالفعل على ما أرادت ، وأصبح الأمير تشارلز موجودا بجانبها ، ولكن حدث خطأ ما أدى إلى الانفصال .. والآن فإن الأمير تشارلز لم يعد بجانبها فهل يمكن أن تصحح الخطأ الذى وقع بالفعل ؟

فى السنوات الأخيرة واجهت وحدها أقوى أسرة فى العالم . وهى الأسرة المالكة البريطانية – واستطاعت أن تنتصر عليها ، وأن تحصل على ما تريد وهو الانفصال عن الأمير .. وفى نفس الوقت استطاعت أن تحافظ على لقب « أميرة » وعلى حقها فى أن تكون ملكة فى المستقبل ، وعلى مخصصاتها ، وعلى حريتها فى التصرف فى حياتها وفى سلوكها بلا رقابة ولا قيود ، وأيضا على حقها فى مشاهدة أولادها وتربيتهم بطريقتها .

وهذا انتصار ملحوظ لامرأة لم يتجاوز عمرها ٣٣ سنة .. ولم تعرف السعادة الحقيقية منذ سنوات طفولتها الأولى .

فعندما كانت فى السادسة رأت أمها تفارق أبيها ، وتغادر بيت الأسرة نهائيا .. وحدث الطلاق بين الأب والأم ، وكان حدثا مدويا بالنسبة للابنة ..

وهى ما زالت تذكر حتى الآن كيف أنها فى كل ليلة كانت تسمع بكاء شقيقها الصغير وهو ينادى على أمه .. كانت غرفة هذا الشقيق الصغير على مسافة بعيدة من غرفة ديانا .. ولم تكن تستطيع أن تتوجه إليه لكى تهدئ من روعه أو لكى تمسح دموعه .. لأنها كانت ترتعد من السير فى الظلام .. وكانت تعليمات الأب واضحة فى عدم إيقاد النور أثناء الليل .

كان أبوها يحمل لقب « إيرل » .. وكان الجميع يرهبون جانبه .

ولم يتردد فى الزواج بامرأة أخرى بعد أن طلق والدة ديانا .. وحملت الزوجة الجديدة لقب « كونتيسة دارتموث » .. وكانت ديانا تكن لها قدرا هائلا من الكراهية وتسمينها الزوبعة ذات الأمطار الحمضية .

واضطرت أميرة ويلز أن تترك المدرسة وأن تبدأ حياتها العملية قبل أن تكمل العام الثامن عشر من عمرها .. فهى لم تدرس فى أى جامعة أو معهد عال ..

وإنما اشتغلت مدرسة فى روضة أطفال ، بأجر لا يفى باحتياجاتها .

وكانت شقيقتها الكبرى سارة – التى أصبحت وصيفتها فيما بعد – تستدعيها لكى تنظف لها البيت مقابل أجر قدره جنيه واحد عن كل ساعة عمل .

قبل الزواج كانت تحس أنها « تلطمت » ما بين تحمل شغب الأطفال وبين العمل شبه خادمة فى بيت شقيقتها المتزوجة .

وجاء زواجها من الأمير تشارلز فنقلها فجأة إلى مرتبة النجومية ، وإلى مصاف ملكات الجمال ، وربات الصون والعفاف ..

واتوا لها بالحلاقين الذين استحدثوا لها تسريحة شعر .. أصبحت موضة العصر .. وجاءوا لها بمصممى الأزياء الذين ابتكروا تصميمات فريدة لملابسها .. ثم زينت جيدها وصدرها وأذنيها وأصابعها بمجوهرات قصر وندسور التى تتوارثها أميرات ويلز منذ مئات السنين .

والذين عرفوها فى تلك الفترة قالوا أنها أحبت الأمير تشارلز بجنون .. فهى لم تكن تعرف الاعتدال فى الحب أو فى الكره .. أما الأمير فكان معتدلاً فى عواطفه .. أو أقرب إلى البرود !

وكانت تكرس نفسها وطاقتها لأية مهمة توكل إليها .. كانت تؤدى دورها من كل قلبها .. وأرادت أن تكون على أقصى درجة من الإخلاص للأسرة المالكة التى صاهرتها وللمهام الاجتماعية الموكولة إليها .. وأحست بها قلوب الملايين داخل بريطانيا وخارجها ، فأحبها الجميع وأدركوا أنها أميرة من طراز خاص .

في نوفمبر ١٩٩٣ قامت برحلة إلى فرنسا .. ذهبت بمفردها بينما كان زوجها يحتفل فى بلاده بعيد ميلاده الرابع والأربعين . وفى باريس استقبلها الرئيس الفرنسى السابق ميتران ، وخصص لها أربعين دقيقة وسط مشاغله الكثيرة ، لكى يتحدث إليها حديثا مطولا هو وقرينته ، كله محبة واحترام .

وفى نوفمبر الماضى قامت بزيارة للأرجنتين بعد أن نصبت نفسها « سفيرة متجولة » . ولكن سيدة أرجنتينية هاجمتها ووجهت لها شتائم نابية ، لأن القوات البريطانية قتلت ابنها فى حرب فوكلاند .

عندما قابلتها الأم تيريزا الحاصلة على جائزة نوبل للسلام قالت عنها : « هذه الأميرة تؤدى رسالة سماوية بينما أقدامها ثابتة على الأرض » .. أما الصحف البريطانية فتقول عنها الآن أنها أشهر امرأة فى العالم !

وفى الهند حيث تعيش الأم تيريزا .. وبعد أن التقت بها أميرة ويلز ، توجهت لزيارة قصر « تاج محل » الشهير ، ووقفت أمام واجهته المبهرة صامتة مطرقة الرأس ، وخيل لمرافقيها أنهم رأوا دمعة حائرة فى إحدى عينيها ..

ولعلها قد تأثرت عندما سمعت قصة ذلك القصر المبهر الذى بناه أحد أباطرة الهند القدامى تعبيرا عن محبته لزوجته ، وظل قائما حتى الآن شاهدا على قصة حب بين زوجين كان الزوج إمبراطورا والزوجة امرأة من أسرة نبيلة .. مثل تشارلز وديانا مع فارق أن الآخيرين أصبح حبهما مفقودا .

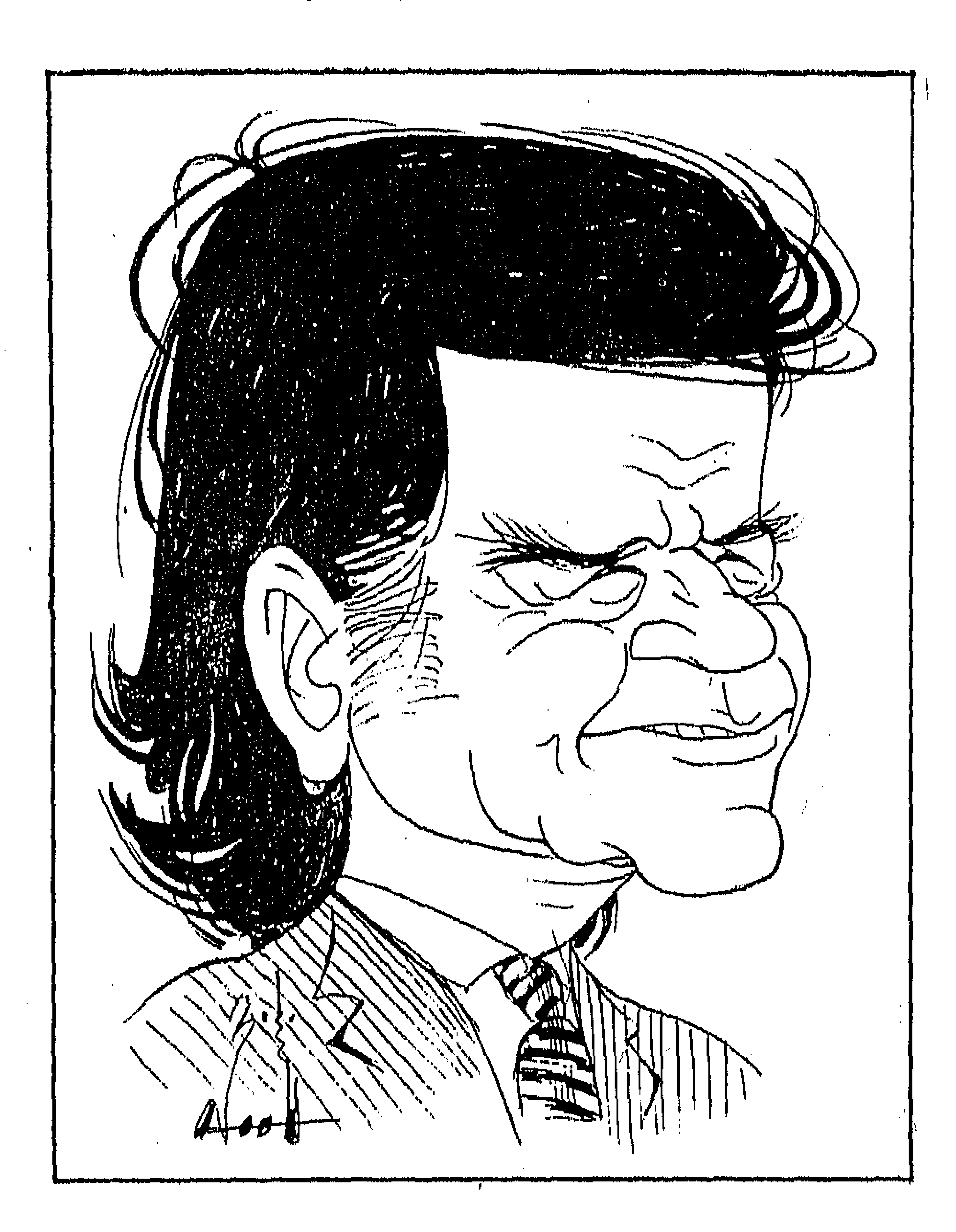
ربما تحس الآن بأنها كانت حالمة أكثر من اللازم ، وأنها استيقظت فجأة من أحلامها على أرض الواقع الوعرة المليئة بالمتاريس والمطبات .. وصممت بكل ما لها من إرادة على أن تعبر الوعورة وتجتاز المتاريس وتتخطى المطبات ..

كانت أقوى العقبات التى تقف فى طريقها هى تقاليد الأسرة المالكة المتزمتة .. ولكن ديانا لم تجد بدا من تحدى هذه التقاليد . وفى وسط معركتها غير المتكافئة مات والدها .. ووجدت نفسها وحيدة أمام العاصفة . ولكنها ازدادت تصميما على الاستمرار فى التحدى ، وغص حلقها بصيحات انتحارية طالبة انقاذها من حياة زوجية ترى أنها تحطمت بالفعل .

إلى أن كان لها ما أرادت .. وصدر البيان الذى يعلن انفصال أمير ويلز عن أميرة ويلز ، بعد أن اقتنع الجميع بأنها لم تكن تصلح له كما أنه لم يكن يصلح لها بصرف النظر عن من هو المخطئ ومن هو الأكثر خطأ ، وعما إذا كان الأمير قد خان الأميرة أو العكس ، وعما إذا كانت الشائعات التى ترددت كثيرا ونشرتها صحف الإثارة عن مكالمات تليفونية سرية لكل من الأمير والأميرة مع طرف آخر أو أكثر .. صحيحة أم غير صحيحة ..

كارلوس منعم

البحث عن الجذور



لو لم يصبح رئيسا .. لكان الآن أحد نجوم الكرة .. ولكنه اختار الملعب السياسى بدلا من ملعب كرة القدم ، لأنه اراد أن يكون اللاعب الأوحد الذى « يشوط » ويطلق الصفارة فتصفق له الجماهير .

ومنذ خمس سنوات اشترك بالفعل فى مبارة كرة قدم فى استاد بوينس ايريس حيث استعار الفانلة رقم ٥ ، واختار أشهر لاعب فى بلاده ، وهو مارادونا لكى يعطيه التمريرات التى يسدد بها الأهداف .

اسمه الأصلى أنور عبد المنعم والده مسعود عبد المنعم هاجر فى عام ١٩١٣ من قرية يبرود السورية القريبة من الحدود اللبنانية ، حيث توجه إلى ميناء بيروت واستقل سفينة حملته إلى « الدنيا الجديدة » . والقت السفينة مراسيها على شواطىء الارجنتين ووجد الأهالى هناك يشيرون له بلقب « التركى » ولم يكن هو وحده الذى يحمل هذه الصفة ، وإنما جميع المهاجرين القادمين من المشرق العربى ،ففى ذلك الوقت كانت سوريا جزءا من الامبراطورية العثمانية ، وكانت نظرة العالم الجديد لا تفرق بين السورى والتركى .

وبعد أن استقر الحال لمسعود عبد المنعم فى ريف الارجنتين ، عاد إلى مسقط رأسه ، حيث تزوج فتاة من قرية صنير المجاورة لقريته ، اسمها مهيبة عقيل ، ثم رحل هو وعروسه إلى الارجنتين لكى يقيما هناك بصفة دائمة .

وفى يوم ٣ يوليو ١٩٣١ رزق مسعود ومهيبة بأول مولود لهما وأسمياه أنور .

وبعد أن تلقى أنور عبد المنعم تعليمه الأساسى فى ريف الارجنتين ، درس القانون فى جامعة قرطبة ، وبعد التخرج عمل مستشارا قانونيا للاتحاد العام للعمال ، ثم أراد أن يرشح نفسه لمنصب الحاكم فى المقاطعة الريفية التى ولد ونشأ بها ولكنه سرعان ما سحب ترشيحه لأن أهالى المقاطعة لا يمكن أن يختاروا حاكما مسلما ثم رأى أنه لكى ينجح فى الانتخابات فلابد له أن يغير ديانته واسمه ، فتحول من الاسلام إلى الكاثوليكية ، وهى مذهب الاغلبية هناك ،ومن أنور إلى كارلوس ، واختصر لقب أسرته من عبد المنعم إلى منعم ، واتهمه خصومه بالانتهازية ، ولكنه نجح .

وكحاكم مقاطعة ، اتيح له أن يلتقى بالرئيس الأرجنتينى الراحل خوان بيرون ،الذى كان يتزعم حزب « العدالة » فانضم إلى نفس الحزب ، وصعد بسرعة فى درجاته حتى أصبح من أقرب المقربين إلى بيرون وزوجته الأولى إيفا .

وعندما وقع الانقلاب العسكرى عام ١٩٥٥ ضد بيرون ، وأدى إلى خلعه ونفيه إلى أسبانيا .. فإن الانقلابيين خلعوا منعم أيضا ضمن حركة التطهير التى شملت كل العناصر « البيرونية » ووجد نفسه يتحول من « حاكم مقاطعة » إلى معتقل وأمضى فى السجن سنتين ونصفا ، وبعد الافراج عنه حددت إقامته لمدة ستة شهور أخرى .. وانتظر لمدة عشر سنوات إلى أن جاء الفرج .

وبعد سلسلة انقلابات عاد بيرون من منفاه فى عام ١٩٧٣ لكى يتولى الرئاسة مرة أخرى وطار منعم إلى أسبانيا لكى يرافقه فى رحلة العودة بالطائرة إلى بيونس ايريس ولكن بيرون توفى بعد عشرة أشهر ، فتولت زوجته الثانية ايزابيللا – فتاة الكبارية السابقة – رئاسة الجمهوية حيث أصبحت أول امرأة تتولى الرئاسة فى القارة الأمريكية .

وبعودة بيرون عاد منعم لترشيح نفسه حاكم لنفس الولاية ، ثم أعيد انتخابه لفترة ثالثة ، وفى عام ١٩٧٦ وقع انقلاب ضد ايزابيللا بيرون ، وعادت البلاد إلى الحكم العسكرى ، ثم قامت حرب فوكلانديين الأرجنتين وبريطانيا ، عام ١٩٨٢ وانتهت بهزيمة وسقوط الحكم العسكرى فى الارجنتين ، ثم محاكمة اثنين من الرؤساء العسكريين وإذانتهما . وعادت الديمقراطية اعتبارا من عام ١٩٨٣ ولكن البلاد تعرضت لازمة اقتصادية مفجعة حتى بلغ

معدل التضخم ٦٠٠٠ فى المائة .. عندئذ تقدم منعم ببرنامج للاصلاح الاقتصادى ، ووعد بتنفيذه إذا تولى الرئاسة ، وجعل شعاره فى المعركة الانتخابية « اتبعونى فأنا لن أخذلكم » ، ونجح واستطاع بالفعل أن يهبط بمعدل التضخم حتى وصل إلى ١٥ فى المائة .

إلا أنه خلال السنوات الثلاث الأولى له فى الرئاسة وقعت أربع محاولات انقلاب ضده ، وفى المحاولة الرابعة نشبت معارك دامية فى قلب العاصمة استمرت ١٨ ساعة .

وفى مايو الماضى بدأ منعم فترة رئاسته الثانية لمدة أربع سنوات ولكنه الآن بلا زوجة ، فقد طلق زوجته سليمة – وهى أيضا سورية الأصل ومسلمة – وبعد سلسلة فضائح ظلت تشغل الصفحات الأولى للصحف المحلية والعالمية لعدة شهور .

ومن بين ما قالته هذه الصحف أن منعم كان يخفى الفتيات الجميلات فى دولاب الملابس وتحت السرير ، وكانت الزوجة تمضى كل نهارها في الخناق معه ، ثم توقظه فى الليل لكى تستأنف خناقاتها .

وفى إحدى الليالى لجأ منعم إلى رجال الأمن بقصر الرئاسة فاستدعاهم للدخول إلى غرفة نومه لكى يخرجوا زوجته بالقوة وينقلوها إلى أى غرفة أخرى ثم إلى خارج القصر كله . وعندما

حاولت أن تعود منعوها من الدخول ، فطلبت الطلاق وحصلت عليه فى مايو ١٩٩٠ بعد زواج دام ٢٥ سنة ،وأثمر شابا وشابة .

وبعد الطلاق تساءل كل نساء الارجنتين : هل قصر الرئاسة من حق الزوجة .. ؟ وتضامن الابن والابنة مع أمهما ثم لقى الابن مصرعه قبل أن يتم ٢٦ سنة فى حادث سقوط طائرة .

وحكمت المحكمة للزوجة المطلقة بمؤخر ١٢ ألف دولار ، ولكن الزوج المطلق استأنف الحكم ، حيث قال إن مرتبه الرسمى ٢٢٠٠ دولار فقط .

وبعد سنة ونصف من الطلاق حصل منعم على لقب « أشيك » رجل فى العالم .. كان ذلك فى ديسمبر ١٩٩١ ، أما التى حصلت معه على لقب « أشيك » امرأة فى العالم فكانت الامبراطورة السابقة ثريا ، الزوجة الأولى لشاه ايران الراحل ، وهى أيضا مطلقة .

ومن انجازات منعم أنه أعاد العلاقات الطبيعية مع بريطانيا منذ خمس سنوات وقال إنه يريد أن يطير إلى لندن لكى يتصالح مع السيدة مارجريت تاتشر فى ذكرى مرور عشر سنوات على حرب فوكلاند ، ولكن طلبه هذا لم يلق استجابة فى ذلك الوقت من « المرأة الحديدية » .

وفى نوفمبر الماضى كانت الأميرة ديانا هى التى جاءت لزيارته ولفتح صفحة جديدة فى العلاقات بين الدولتين .

ويستضيف منعم فى قصر الرئاسة نجوم الكرة والفن والموضة ، وكان آخر من استضافهم نجمة الاغراء كلوديا شيفر .

ولديه اهتمام خاص بتصفيف شعره ، ويقال إنه زرع فى رأسه ٤٨ الف شعرة سوداء لكى يتغلب على الشيب ، وله حلاق خاص فى الرئاسة يتقاضى ٤ آلاف دولار شهريا ، ويرافقه فى كل رحلاته إلى الخارج على طائرته الخاصة التى يسميها « تانجو رقم ١ » وتتسع لعشرين شخصا . وهو يقول : ان تسريحة شعرى هى إحدى حرياتي الشخصية .كذلك فهو حريص على اختيار ملابسه المزركشة بنفسه وانتقاء الألوان الفاقعة .

والأرجنتين كانت واحدة من الدول المرشحة لدخول النادى الذرى ، ولكنها وافقت أخيرا على مد معاهدة حظر انتشار الأسلحة الذرية إلى ما لا نهاية .

وإلى الأرجنتين هرب واحد من أشهر مجرمى الحرب العالمية الثانية ، وهو ادولف ايخمان ، وظل مختفيا هناك منذ نهاية الحرب إلى بداية الستينات عندما تمكنت الأجهزة الإسرائيلية من الإمساك به ونقله سرا إلى تل أبيب حيث جرت محاكمته وصدر عليه حكم بالأعدام ، ونفذ فعلا ، ثم أحرقت جثته والقى رمادها إلى البحر الأبيض المتوسط بناء على وصيته !

مرة واحدة سعى منعم إلى البحث عن جذوره ، حيث زار

سوريا عام ١٩٦٤ عندما كان عمره ٣٣ سنة ، وأمضى فى قريته « يبرود » خمسة شهور . كما ترك ابنته الوليدة هناك لكى تتربى على تقاليد وأخلاق الريف السورى . ولم تجىء إلى الارجنتين إلا بعد أن بلغت العشرين .

وبعد أن أصبح رئيسا ، زار سوريا مرة أخرى ضمن جولة بالشرق الأوسط بدأها باسرائيل ، وعندما وصل إلى دمشق قال للرئيس السورى حافظ الأسد أن الإسرائيليين أبلغوه بأنهم مستعدون للانسحاب « الكامل » من الجولان ، ثم تبين له أنه حدث خطأ فى الترجمة .

وفى عام ١٩٩١ اقترح أن يعقد المؤتمر الدولى للسلام فى بيونس ايريس بدلا من مدريد ، ولم يؤخذ باقتراحه .

وكانت إحدى هواياته هو مشاهدة سباق السيارات ، ثم توقف عن هذه الهواية بعد مصرع ابنه ..

هيلموت كول

الزعيم الأوحد



انتقادات عنيفة تعرض لها المستشار الألمانى هيلموت كول داخل البرلمان بسبب أسلوب معالجته لمشكلات الوحدة الالمانية .

واشتدت هذه الانتقادات قبل أيام قليلة من العيد الثانى لإعادة توحيد المانيا ، هذا التوحيد الذى قام فيه كول بالدور الأكبر حتى اعتبره الكثيرون « الزعيم الأوحد » بمعنى إنه هو الذى « وحد » الألمانيتين وأيضا بمعنى أنه هو الذى حقق « وحده » هذه الوحدة التاريخية .

الآن وبعد ستة أعوام من أكبر حدث ألمانى منذ الحرب العالمية الثانية .. يأتى من يشككون فى مقدرة كول على الزعامة وعلى الاستمرار فى قيادة البلاد .

بل أنه هو نفسه قد اعترف بارتكاب بعض الأخطاء فى معالجته للمشكلات الاقتصادية الخاصة بالجزء الشرقى من المانيا الذى رزح تحت نير الشيوعية حوالى ٤٠ سنة ، وقال – بشجاعة – إنه يتحمل مسئولية استمرار الفجوة القائمة حتى الآن بين الولايات الغربية الاحدى عشرة – والولايات الشرقية الخمس ، وهذه الأخيرة يسمونها الآن الولايات المتحدة الجديدة – لأنها لم تندمج مع « جمهورية المانيا الاتحادية » إلا عام ١٩٩٠ .

هذا الزعيم الأوحد قام بزيارة سرية إلى البنك المركزى الألمانى منذ أربع سنوات لإقناع رئيسه وكبار المسئولين فيه بضرورة الاسراع بتخفيض أسعار الفائدة على الودائع والقروض المصرفية .

وهو قد لا يهمه استقرار أسواق النقد العالمية بقدر ما يهمه زيادة صادرات المانيا إلى سائر دول العالم ، وهذه الزيادة لا تتحقق إلا إذا انخفض سعر المارك بالنسبة إلى سائر العملات الأخرى .

منذ خريف عام ١٩٨٩ أصبحت قضيته الأولى وشغله الشاغل هو إعادة توحيد ألمانيا .. ففى ذلك الخريف قامت الثورة الشعبية فيما كان يسمى « جمهورية المانيا الديمقراطية » وحطم الشعب سور برلين ، ومحا الحدود التى كانت ممتدة من مدينة لوبيك على ساحل بحر البلطيق شمالا ، إلى تخوم ولاية بافاريا جنوبا ، وهى الحدود التى رسمها الحلفاء بعد انتهاء الحرب العالمية الأخيرة . لكى تشطر المانيا إلى دولتين متنابزتين متصارعتين .

وطوال سنوات الحرب الباردة ظلت قضية تقسيم المانيا هى المشكلة الساخنة فى أوروبا ..وظل العالم مهددا بنشوب حرب ساخنة جديدة . بسبب تقسيم العاصمة برلين ، وبسبب السور الذى كان يحاصر الشطر الغربى من برلين ويجعل منه جزيرة منعزلة وسط بحر من العداء الشيوعى .

ففى أوائل فبراير ١٩٤٥ ، اجتمع رؤساء وأقطاب ثلاث من

دول الحلفاء – هى الولايات المتحدة ، وبريطانيا ، والاتحاد السوفيتى – السابق – فى منتجع يالطا على الساحل الشمالى للبحر الاسود لكى يبحثوا وسائل الاجهاز على المانيا النازية ، ورسم خطوط وحدود عالم ما بعد الحرب .

وانتهت معارك الحرب العالمية الثانية – فى الجبهة الأوربية – بعد ثلاثة شهور باستسلام المانيا النازية .

ودار التاريخ دورة كاملة ، وخرجت دول أوروبا الشرقية على الهيمنة السوفيتية ، وانفرط عقد حلف وارسو ، وتحلل الاتحاد السوفيتى ، إلا أن القضايا التى اثيرت فى يالطا منذ ٥١ سنة عادت تثار من جديد ، منذ حوالى سبع سنوات ، وفى مقدمتها مستقبل المانيا ، فقد كانت المانيا – بسبب هزيمتها فى الحرب – قد خسرت أجزاء هامة من أراضيها ، ضمت قسرا إلى كل من بولندا وروسيا ، وهذه الأراضى المقتطعة كانت تشمل ثلاث ولايات تقع إلى الشرق من خط اودرنيسه ، الذى يشكل الآن الحدود مع بولندا .

وعندما بدأ الحديث جديا فى أوائل عام ١٩٩٠ عن إعادة توحيد ألمانيا .. ظهرت المخاوف من أن تشرع المانيا بعد إعادة توحيدها فى المطالبة بالأراضى المقتطعة منها وإعادة الحدود إلى ما كانت عليه قبل الحرب العالمية الثانية ، الأمر الذى كان من شأنه أن يثير من جديد النزاعات الاقليمية مع كل من بولندا وروسيا ، وهى نفس النزاعات التى أدت فى الماضى إلى نشوب أكبر حربين عالميتين . من هنا راح

المستشار الالمانى يبذل المساعى الحقيقية ويعالج الحساسيات القديمة فى محادثات مطولة ودؤوبة مع زعماء « المانيا الشرقية » ومع أقطاب الحلفاء الأربعة المسئولين بالدرجة الأولى عن تقسيم المانيا فى عام ١٩٤٥ .

ورأى كول أنه لابد من البدء فى إقامة وحدة اقتصادية ومالية بين دولتى المانيا كخطوة أولى ضرورية نحو الوحدة السياسية .. وقد بدأ فعلا بتوحيد العملة النقدية ، وهو الأمر الذى اعتبره الكثيرون معجزة المانية ثانية ، تضاف إلى المعجزة الأولى التى حققها المستشار الراحل اديناور ووزير الاقتصاد الراحل ايرهارد بإعادة بناء المانيا « الغربية » بعد الحرب .

وحذر كول من أن أى محاولة للوقوف فى وجه الوحدة الالمانية ستؤدى إلى كارثة فى كل أوروبا ، وأن البديل الوحيد لإعادة الوحدة الالمانية هو الانهيار الاقتصادى الكامل لـ « المانيا الشرقية » .

وقال الأوروبيون أن كل هو بسمارك الجديد الذى استطاع فى سبعينات القرن الماضى أن يوحد الممالك والدويلات الالمانية .

وفى بداية خريف عام ١٩٩٠ اجريت أول انتخابات حرة فى « المانيا الشرقية » ونزل كول المعركة للدعوة إلى انتخاب مرشحى جناح الحزب الديمقراطى المسيحى الذى يتزعمه منذ عام ١٩٧٣ . والذى تحقق له الفوز بالفعل ، ومن ثم أمكن اجتياز أكبر عقبة فى طريق الوحدة السياسية .

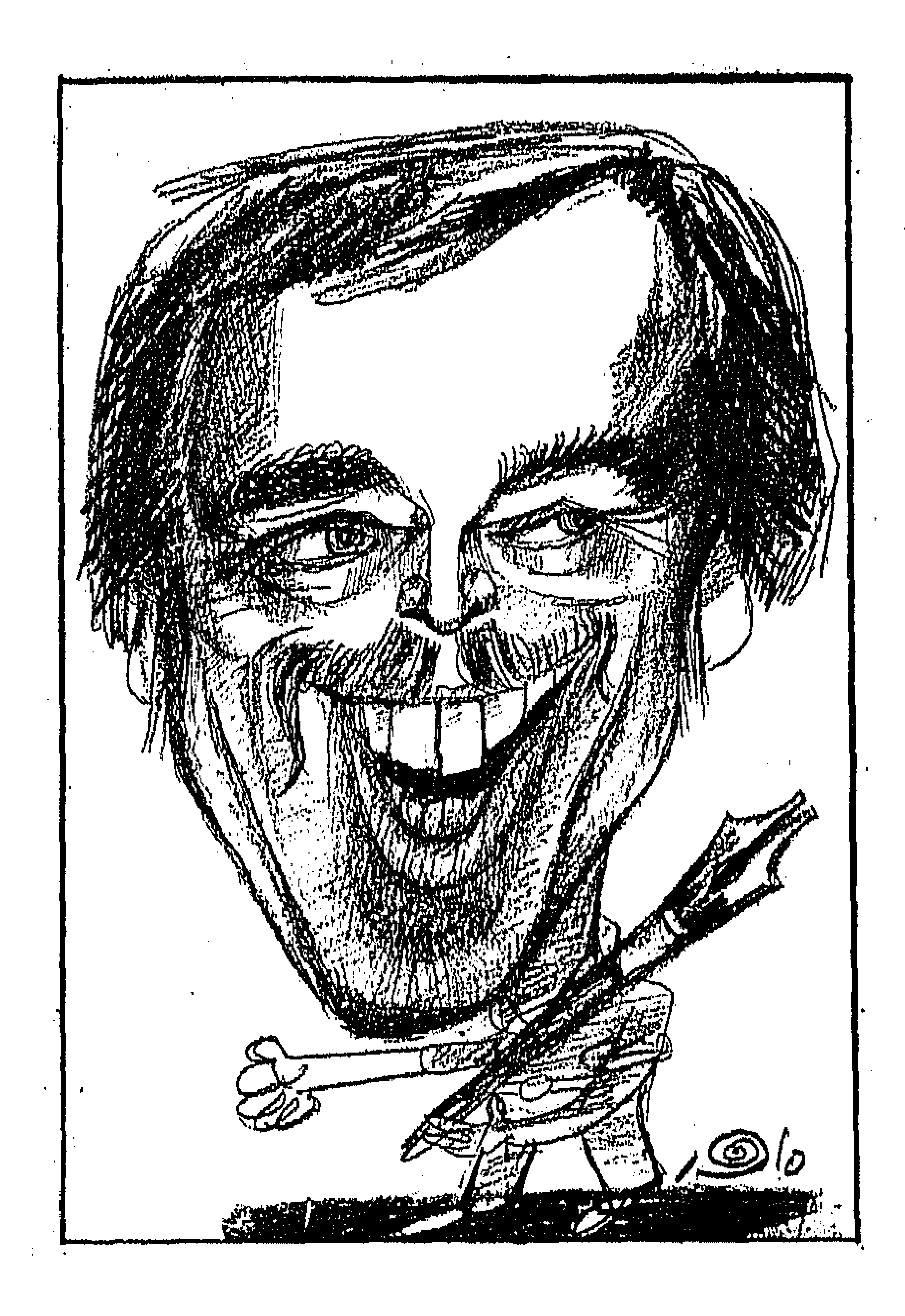
وفى البداية كان هناك اقتراح بأن تنتهج المانيا الموحدة سياسة الحياد فتنسلخ من عضوية كل من حلفى الاطلنطى ووارسو وتصبح مثل النمسا وسويسرا ، وهما أيضا دولتان متكلمتان بالالمانية ، ولكن حلف وارسو كان قد انفرط عقده واصر كول على أن تتم الوحدة مع استمرار بقاء المانيا الموحدة عضوا فى حلف الاطلنطى .

وكان كول فى فترة ما قبل الوحدة يبدو طموحا بلا حدود ، وهو الآن فى الدورة الرابعة فى الحكم ، ويطمح إلى البناء لدورة خامسة ، وربما كان مرجع طموحه أنه مولود فى برج الحمل فإن مواليد هذا البرج يتميزون بأن لديهم روح الريادة والتجديد والابتكار ويحسنون استغلال الفرص المتاحة ولا يجدون مشقة فى تحقيق النجاح .. ولهم جاذبية خاصة وقوة « كاريزمية » ويعرفون كيف يتعاملون مع الآخرين ، ولهم أهداف محددة يلتزمون بها ، وهذه الأهداف قد تكون معقولة ومشروعة ، وقد تكون غير معقولة .

ومن مواليد هذا البرج أيضا : الملكة اليزابيث ملكة بريطانيا وأمبراطور اليابان الراحل هيرو هيتو والفنان العالمى شارلى شابلن ورئيس كوريا الشمالية كيم ايل سونج والزعيم النازى اودلف هتلر الذى أورد المانيا مورد الهلاك باطماعه اللامعقولة واللامنطقية المتمثلة فى ضرورة سيادة الجنس الآرى على كافة أجناس العالم .

فاتسلاف هافيل

« مينى » رئيس



حدثت المفاجأة مرتين .. ففى بداية عام ١٩٩٣ وقع اختيار البرلمان التشيكى على الكاتب المسرحى فاتسلاف هافيل رئيسا لجمهورية التشيك التى هى نصف جمهورية تشكيوسلوفاكيا السابقة وكانت هذه هى المرة الثانية .

أما المفاجأة الأولى فقد وقعت قبل ثلاث سنوات تماما ، عندما كانت تشيكوسلوفاكيا لا تزال تخضع للنظام الشيوعى ، وكان غالبية أعضاء البرلمان من الشيوعيين ، ومع ذلك فقد آثروا أن ينتخبوا - بالاجماع - رئيسا معاديا للشيوعية .. ظل طوال أكثر من عشرين سنة يناضل ضد احتكار الحزب الشيوعى لسلطة الحكم ، وكانت السلطات الشيوعية لاتكاد تفرج عنه حتى تعيد اعتقاله ، ووصفوه بأنه « العدو الأول للاشتراكية » ومع ذلك فقد انتهى به الأمر فى يناير ١٩٩٠ باختياره - بالاجماع وبلا منافس - رئيسا لكل تشيكوسلوفاكيا .

أما فى عام ١٩٩٣ فقد أصبح رئيسا لنصف الجمهورية التى ظل يرأسها لمدة سنتين ونصف السنة قبل أن يستقيل احتجاجا على تقسيم البلاد إلى جمهوريتين وهى التى ظلت متحدة لنحو ثلاثة أرباع قرن .

وبدلا من الاجماع الذى تحق له قبل ثلاث سنوات ..فإنه فى المرة

الثانية كان له منافس قوى كاد ينتزع منه رئاسة هذا الشطر الغربى المتاخم لالمانيا الذى يطلقون عليه الآن اسم جمهورية التشيك ، وهذه الجمهورية « المينى » هى نفسها مملكة بوهيميا القديمة التى كانت منارا للثقافة والعلوم فى وسط أوروبا منذ ستة قرون ، وما زالوا يطلقون على عاصمتها براج اسم « العاصمة الذهبية » حيث تضم بين مبانيها نحو ٣ آلاف أثر تاريخى ما بين قلاع وحصون ودور عبادة ، وكل أثر فيها عليه طلاء بماء الذهب .

ومدينة براج هى التى وقع عليها الاختيار لتقديم العرض الأول لأوبرا « سان جيوفانى » التى أبدعها موتسارت منذ أكثر من مائتى سنة ،وكان موتسارت نفسه قد تردد على هذه المدينة أكثر من مرة وقدم فيها بعض أعماله وهو فى بداية حياته ، ثم وضع سيمفونية فى أواخر أيامه أسماها سيمفونية براج » .

كذلك فإن جمهورية التشيك قدمت للسينما العالمية النجمة الشهيرة هيدى لامار ، كما أن الروائى العالمى كافكا كان أيضا تشيكيا رغم أنه كتب أعماله باللغة الالمانية . ومن أشهر مدن جمهورية التشيك مدينة كارلوفى فارى التى كانت تنظم كل عامين مهرجانا عالميا للسينما وكانت مصر تشترك فيه بشكل منتظم . .

لم يكن غريبا على مثل هذه الجمهورية الجديدة « المينى » أن تختار مؤلفا مسرحيا رئيسا لها .. بل أنه كان من الطبيعى أن تعيد

انتخابه كنوع من رد الاعتبار أو « نصف الاعتبار » بعد أن خذلته جمهورية سلوفاكيا التى انشطرت عن الوطن الأم !

ولأنه يرأس الآن نصف دولة أو دولة « مينى » فإن الأصوات المؤيدة له كان عددها أيضا « مينى » ففى خلال جلسة عاصفة حصل على ١٠٩ أصوات من مجموع ٢٠٠ صوت ..فى حين أنه فى المرة الماضية حصل على أصوات كل أعضاء البرلمان .. فهو هذه المرة « مينى رئيس » يحكم « مينى دولة » بأصوات « مينى » .

وأثناء الاقتراع تلقى جهاز الأمن بالبرلمان تهديدا بوجود قنبلة توشك أن تنفجر ، وجرى إخلاء قاعة البرلمان من كل الأعضاء ، وبعد التفتيش لم يمكن العثور على شىء وعاد الأعضاء إلى مقاعدهم لكى يستأنفوا عملية التصويت .

ولو أن هافيل نفسه كتب مسرحية منذ شهرين فقط « يتخيل » فيها ما حدث فى جلسة البرلمان هذه بالمقارنة بما حدث قبل ثلاث سنوات لاتهمه الكثيرون بأنه « شطح » كثيرا فى خياله ..فهو فى البداية كان يرفض تماما ترشيحه لمنصب « مينى رئيس » .. ولكنه عاد فقبل تحت ضغط أنصاره ومحبيه !

والقاعة التى جرت فيها عملية الاقتراع ترجع إلى العصور الوسطى ، حيث افتتحت منذ نحو خمسمائة سنة ، وهى إحدى

قاعات القلعة التاريخية التى تطل من أعلى على مدينة براج ونهر الفلتافا ، وظلت هذه القاعدة زهاء خمسة قرون تشهد حفلات تتويج ملوك بوهيميا إلى أن تقرر تحويلها مع مجئ النظام الجمهورى إلى قاعة للبرلمان .

ويتميز هافيل بأنه مفرط فى الخجل والتواضع ، كما أنه مفرط أيضا فى التدخين ، وقد جاء مولده فى العاصمة الذهبية يوم ٥ أكتوبر ١٩٣٦ ، وكان ينتمى لاسرة ميسورة الحال ، ولم يكد الشيوعيون يتولون الحكم عام ١٩٤٨ حتى صادروا كل ممتلكات الأسرة وعندما أراد أن يلتحق بالجامعة وجد جميع الكليات تغلق أبوابها فى وجهه لأنه من « الطبقة الرأسمالية » .

واضطر فى النهاية إلى الالتحاق بأحد معاهد الدراسات الليلية ، وسرعان ما عشق المسرح .

وبدأ حياته العملية فى الاشتغال وراء الكواليس ، ثم ترتيب المناظر ، ثم فى الاضاءة وجرب حظه فى الاخراج ، واستقر فى النهاية على التفرغ لكتابة المسرحيات .

أول مسرحية كتبها كانت بعنوان « حزب الحديقة » وعرضت لفترة قصيرة عام ١٩٦٣ فى براج ، ولكن السلطات لم تلبث أن حظرت عرضها ، حيث رأت فيها رفضا للنظام الشيوعى القائم ، وكتب مسرحية أخرى عرضت عام ١٩٦٥ تحت اسم « المذكرة »

وترجمت فيما بعد إلى العربية ونشرت مسلسلة فى مصر وبعد هاتين المسرحيتين قال النقاد أن هافيل كاتب واعد ، وتنبأوا له بأنه سيكون من أبرز كتاب جيله فى كل أوروبا .

وعندما غزت قوات حلف وارسو أراضى تشيكوسلوفاكيا فى صيف عام ١٩٦٨ .. قرر أن ينزل إلى معترك السياسة ، وقال لم يعد من الممكن أن أتخذ موقف المتفرج .

وكتب عدة مقالات يدعو فيها إلى قيام أحزاب معارضة ففصلوه من العمل فى المسرح ، وحظروا عرض مسرحياته نهائيا .. وعاش سنوات على إيراد عرض مسرحياته فى دول الغرب ، ولكن هذا العائد لم يكن يكفيه ، واضطر للعمل فى معمل لتقطير الخمور ، واستوحى من هذا العمل مسرحية من فصل واحد باسم « المحادثة » .

واعتقلته السلطات ثم أفرجت عنه ، ثم فتشت شقته وصادرت آخر مسرحية له بعنوان « التجديد » وهى التى عرضت فى مدينة زيوريخ بسويسرا فى سبتمبر ١٩٨٩ ، كما عرضت له مسرحيات أخرى فى برودواى ولندن وفيينا .

ومن داخل سجنه كان يكتب رسائل إلى زوجته يصور فيها حياة السجن ومفهومه لمعانى الحرية والمسئولية الأدبية ونشرت صحف الغرب مقتطفات منها تحت عنوان « رسائل إلى أولجا » .

وكان آخر مقال نشره بعنوان « قوة الذين لا سلطة لهم » ، وقد أثار عليه حنق السلطات الشيوعية أكثر من أى عمل آخر .. ومع ذلك فإنه مازال حتى الآن يقول أنه يتوق إلى العودة للكتابة وإلى جو النضال والاعتقالات .. !

والشعار المكتوب على علم رئاسة الجمهورية الذى يرفرف فوق قلعة براج هو « الحق يعلو » .. وكان أول من أطلق هذا الشعار هو توماس مازاريك أول رئيس لتشيكوسلوفاكيا خلال الفترة ١٩١٨–١٩٣٥ ، وقد اشتهر بإنجازاته الكبيرة فى بعث التنوير والثقافة فى البلاد والمقارنة التى يجريها الأهالى هناك الآن هى بين مازاريك وهافيل .

وخلال فترات الاضطهاد التى تعرض لها .. عرضت عليه أكثر من دولة غربية أن يلجأ إليها ولكنه كان يرفض دائما .

ومنذ ١٦ سنة اشترك مع مجموعة من المفكرين الأحرار فى التوقيع على ميثاق ١٩٧٧ الشهير الذى يطالب بتطبيق حقوق الإنسان فى تشيكوسلوفاكيا . وأصبحت هذه المجموعة تحمل اسم « مجموعة ميثاق ٧٧ » نسبة إلى السنة التى صدر فيها هذا الميثاق .

وفى خريف عام ١٩٨٩ شكل مع مجموعة أخرى من دعاة الاصلاح « المنتدى المدنى » الذى أصبحت حزب المعارضة الرئيسى ،

واشترك مع عدد من الأحزاب الأخرى فى وضع ملامح مستقبل الديمقراطية والتعددية الحزبية بعد سقوط النظام الشيوعى .

وخلال رئاسته السابقة لتشيكوسلوفاكيا زار مصر فى ديسمبر ١٩٩١ .

بيرس
الحائر



فى نوفمبر ١٩٩٦ أصبح محط أنظار العالم كله مرة ثانية إثر اغتيال رئيس الوزراء إسحق رابين .

اسمه الحقيقى شمعون بيرس ، كما يكتب وينطق فى لغته الأصلية ، ولكن الصحف العربية عموما دابت على كتابته « شيمون بيريز » على نحو ما يكتب بالحروف اللاتينية .

وهو نفسه لا يعرف اللاتينية ، ولكنه يجيد الانجليزية والفرنسية والألمانية والروسية بالإضافة إلى العبرية .

ومنذ ست سنوات أصبح محط انظار العالم للمرة الأولى انتهت المهلة الثانية التى أتاحها له رئيس الدولة لتشكيل وزارة جديدة ... حيث دأب طوال الأسابيع الستة الماضية على محاولة جمع أصوات ٦١ من أعضاء الكنيست وكان كلما كسب نائبا جديدا .. يفاجأ بهروب نائبين ، وكلما نجح فى إقناع حزب بالائتلاف معه وجد حزبا آخر ينسلخ عنه !

الذين أيدوه فى البداية لم يلبثوا أن انقلبوا عليه ، والذين وعدوه بالوقوف بجانبه لم يفوا بوعدهم .

ولم ييأس .. وإنما ظل مثابرا حتى آخر دقيقة فى آخر مهلة أتيحت له .. وفى اللحظة الأخيرة ،قال كلمته الأخيرة وانتهت

فترة حيرته بين الانصار الذين يتحولون إلى خصوم والخصوم الذين يؤيدون ثم يخذلون .

منذ الانتخابات العامة التى جرت فى نوفمبر ١٩٨٨ وانتهت إلى ما يشبه التعادل بين الحزبين الكبيرين الليكود والعمل .. ظل بيرس يشغل منصب نائب رئيس الوزراء ووزير المالية فى الحكومة التى يرأسها إسحق شامير والتى تضم ائتلافا للحزبين وتطلق على نفسها اسم حكومة الوحدة الوطنية .

وفى بداية مارس ٩٠ انهارت « الوحدة الوطنية » وتبعثر الائتلاف الحاكم .. حيث أقدم شامير على إقالة بيرس ، وعلى الأثر أعلن سائر وزراء حزب العمل التضامن مع زعيمهم والانسحاب الجماعى من الحكومة .. وهكذا أصبح شامير يرأس « حكومة عرجاء » .

وفى منتصف مارس طرح بيرس فى البرلمان مشروع قرار بسحب الثقة من هذه الحكومة التى فقدت نصف أعضائها .. وللمرة الأولى فى تاريخ إسرائيل اقترع البرلمان بأغلبية ٦٠ صوتا (النصف تماما) بحجب الثقة عن شامير وحكومته ..

وعلى الأثر بدأ بيرس جهده الدءوب لتجميع أصوات ٦١ نائبا يمنحون الثقة لحكومته المرتقبة .

وأعطيت له مهلة أولى لمدة أربعة أسابيع ثم مهلة ثانية لمدة

أسبوعين .. وخلال هذه الأسابيع الستة شهدت إسرائيل عمليات ضغط وتهديد وترغيب وترهيب .

ففى يوم ذكرى المحرقة الذى صادف يوم ٢٢ إبريل ١٩٩٠ عثر أحد نواب حزب شاس (حراس التوراة) – وهو حزب خاص باليهود الشرقيين ، على علامة الصليب المعقوف مرسومة على سيارته . وهذه العلامة هى رمز النازية . والنازية هى التى ساقت يهود أوروبا إلى المحرقة أثناء الحرب العالمية الثانية .. كما وجد أن الذين رسموا هذه العلامة قد ثقبوا أيضا إطارات السيارة ! وتركوا له ورقة مكتوبا عليها الموت للخونة » !

هذا النائب اسمه يائير ليفى ، وكان واحدا من خمسة نواب من نفس الحزب صوتوا بحجب الثقة عن حكومة شامير .

وهذا الحزب ككل الأحزاب الدينية – تميل تقليديا إلى تأييد الليكود .. إلا أن الزعيم الدينى للحزب الحاخام عوفا ديا يوسف رأى أن شامير يماطل فى عملية السلام ، فأوعز إلى الحزب بأن يغير وجهته وأن ينحو إلى اسقاط شامير وتشجيع بيرس على تشكيل حكومة جديدة من حزب العمال ..

ولم يكن يائير ليفى هو الوحيد من أعضاء حزب شاس الذى تعرض لهذا التهديد .. فهناك أيضا أحد زعماء الحزب وهو الحاخام اربيه درعى الذى كان وزيرا للداخلية فى حكومة شامير .. فقد تلقى تهديدات بالقتل مما أوجب تشديد الحراسة على منزله .

كذلك لم يكن حزب شاس هو الوحيد الذى وجهت له التهديدات ، فقد نال التهديد حزب « اجودات إسرائيل » وهو أيضا حزب دينى كان قد وافق على تأييد بيرس وفى أول اجتماع لأعضاء الحزب بعد هذه الموافقة فوجئوا بعلب الغاز تلقى عليهم فى قاعة الاجتماع .

بل إن التهديدات وصلت إلى رئيس الدولة حاييم هيرتسوج فى ذلك الوقت حيث كان من بين زوار قصر الرئاسة من تركوا نشرات تتضمن التهديد بقتل رئيس الجمهورية لأنه أتاح الفرصة أمام بيرس لتشكيل ائتلاف وزارى بدون الليكود .

وفى البداية كانوا يقولون إن هذه التهديدات تصدر عن جماعات متطرفة ضئيلة العدد ، تحاول إحباط أى محاولة جادة للسلام ، وتشويه صورة حزب العمل وصورة بيرس نفسه باعتباره داعية سلام ، وراغبا فى التفاوض مع الفلسطينيين .

وأحدثت هذه التهديدات تأثيرها فى دفع حزب شاس واثنين من حزب اجودات إسرائيل إلى التراجع عن تأييد بيرس .

والحيرة فى حياة بيرس ليست وليدة هذه الفترة فقط ، فهو أحد التلامذة المخلصين لبن جوريون وكان واحدا من رباعى دايان — الون — بيرس — ايبان .

وهو يختلف عن دايان فى أنه ليس من « الصابرا » المولودين

فى إسرائيل ، فقدْ جاء مولده فى روسيا عام ١٩٢٣ وعندما أكمل ١١ سنة وجد نفسه فى فلسطين كأحد حراس المزارع الجماعية ذات التوجه اليسارى .. ولم يعجبه ، فانضم إلى حركة شباب الهستدروت ، ثم استقر فى تل أبيب لاستكمال دراسته .

وفى عام صدور قرار تقسيم فلسطين انضم إلى قوات « الهاجاناه » التى تحولت فيما بعد إلى « جيش الدفاع » ، وخلال ست سنوات أصبح مديرا عاما لوزارة الدفاع ،وكان له دور بارز فى عقد صفقات شراء السلاح من فرنسا والولايات المتحدة . وفى عام ١٩٥٨ اشترك فى عقد صفقة الأسلحة الشهيرة مع المانيا الغربية ، وهى الصفقة التى أثارت عليه حنق الأحزاب الدينية المتطرفة التى كانت ترفض كلية أى تعامل مع الألمان باعتبارهم « قتلة اليهود » .

وفى نهاية الخمسينات انضم إلى حزب « ماباى » الذى كان يتزعمه بن جوريون .. ثم تصدع هذا الحزب فى منتصف الستينات حيث انشق عنه بن جوريون وشكل حزب « راقى » ، فكان بيرس من أوائل الذين اشنقوا وانضموا للحزب الجديد .. وبعد ثلاث سنوات أخرى اندمجت جميع الأحزاب العمالية (ماباى — احدوت عافودا — رافى) فى حزب العمل الإسرائيلى الذى أصبح بيرس نائبا لزعيمه ثم عقدت له الزعامة فى إبرايل ١٩٧٧ ثم سحبت منه بعد ١٥ سنة إلى أن أعيدت إليه فى نوفمبر الماضى عقب اغتيال رابين ومن ثم رأس الوزارة من جديد .

ومن دواعى حيرة بيرس أنه لم يتلق تعليما جامعيا ولم يحصل على درجة علمية كتلك التى حازها أقرانه من صانعى السياسة الإسرائيلية .. وهو يقول إنه قد استعاض عن الدراسة الأكاديمية بعلاقات العمل والمشورة مع بن جوريون ومن قبله مع المفكر الصهيونى بيرل كاتس نلسون الذى تتلمذ عليه فى بداية حياته لمدة أربع سنوات ، وهذا الأخير هو مؤسس صحيفة « دافار » الناطقة باسم الهستدروت (اتحاد عمال إسرائيل) وظل يرأس تحريرها إلى أن توفى عام ١٩٤٤ ، كما أنشا دار نشر « علم عوفيد » أى الشعب العامل وهى أيضا تابعة للهستدروت .

ويلخص بيرس مذهبه فى السياسة والحكم بقوله : « أنا اؤمن بالحوار وليس بالأيدلوجيا الجامدة » .

وهو يتكلم خمس لغات بطلاقة رغم أنه لا يحمل أى شهادة جامعية وعند توقيع اتفاق الحكم الذاتى الفلسطينى فى سبتمبر ١٩٩٣ كان الذى دفعه عن الجانب الإسرائيلى هو بيرس ، وفى الكنيست استعان بكل خبراته فى مجال الدبلوماسية لكى يقنع نواب اليمين بأهمية الاتفاق مع منظمة التحرير الفلسطينية .

وقبل هذا الاتفاق جاء إلى القاهرة فى ديسمبر ١٩٩٢ ، وعقد لقاء مع تسعة من الباحثين والمفكرين المصريين الذين كان معظمهم

يعارضون معاهدة السلام المصرية الإسرائيلية ، وأجروا معه حوارًا ساخنًا .

وعندما تولى زعامة حزب العمل ورئاسة الحكومة لأول مرة فى منتصف الثمانينات جاء إلى مصر وعقد لقاء قمة مع الرئيس حسنى مبارك فى الاسكندرية .

وعندما قرر مجلس الوزراء الإسرائيلى - بأغلبية صغيرة - فى يناير ١٩٩٣ ابعاد حوالى ٤٠٠ فلسطينى إلى إقليم مرج الزهور بجنوب لبنان .. كان بيرس أحد أعضاء الوزارة الذين عارضوا هذا القرار .

وقد اشتهر على النطاق الدولى كزعيم اشتراكى ، وأصبح نائبا لرئيس الدولية الاشتراكية فى بداية التسعينات .

وفى إبريل ١٩٩٤ صدر له كتاب بعنوان « شرق أوسط جديد » ، وترجم إلى العربية ، وفيه يتحدث عن رؤيته المستقبلية للمنطقة ، وأيضا عن لقاءاته السرية والعلنية مع الساسة والأقطاب العرب ، كما يشير فيه إلى أنه للمرة الأولى تشترك إسرائيل و ١٢ دولة عربية فى المحادثات المتعددة الأطراف جنبا إلى جنب مع ٣٠ دولة أخرى على امتداد العالم ابتداء من كندا إلى اليابان .

فهرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

رقم الإيداع		١٩٩٦/٤٥٦٢
الترقيم الدولى	977 – 02 – 5271 – 9	ISBN

١ / ٩٦ / ٤

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)

من هذه الخيوط اللامعة .. والأشواك الحادة .. والهواء الملوث .. والجو الخانق .. والحديد والنار والدم استطاع الأستاذ حسن فؤاد أن يرسم ويجسم ويقدم أبطالا على مسرح السياسة الدولية ..

ولأنه تمرس على ذلك .. كثيرًا وطويلاً وعميقًا .. فلم يجد صعوبة فى أن يجعل أعقد الرجال سهلاً تكاد تلمسه وتقلّبه بين يديك ..

أنيس منصور



دار المعارف



